رسائل

جمعية الآداب الاسلامية

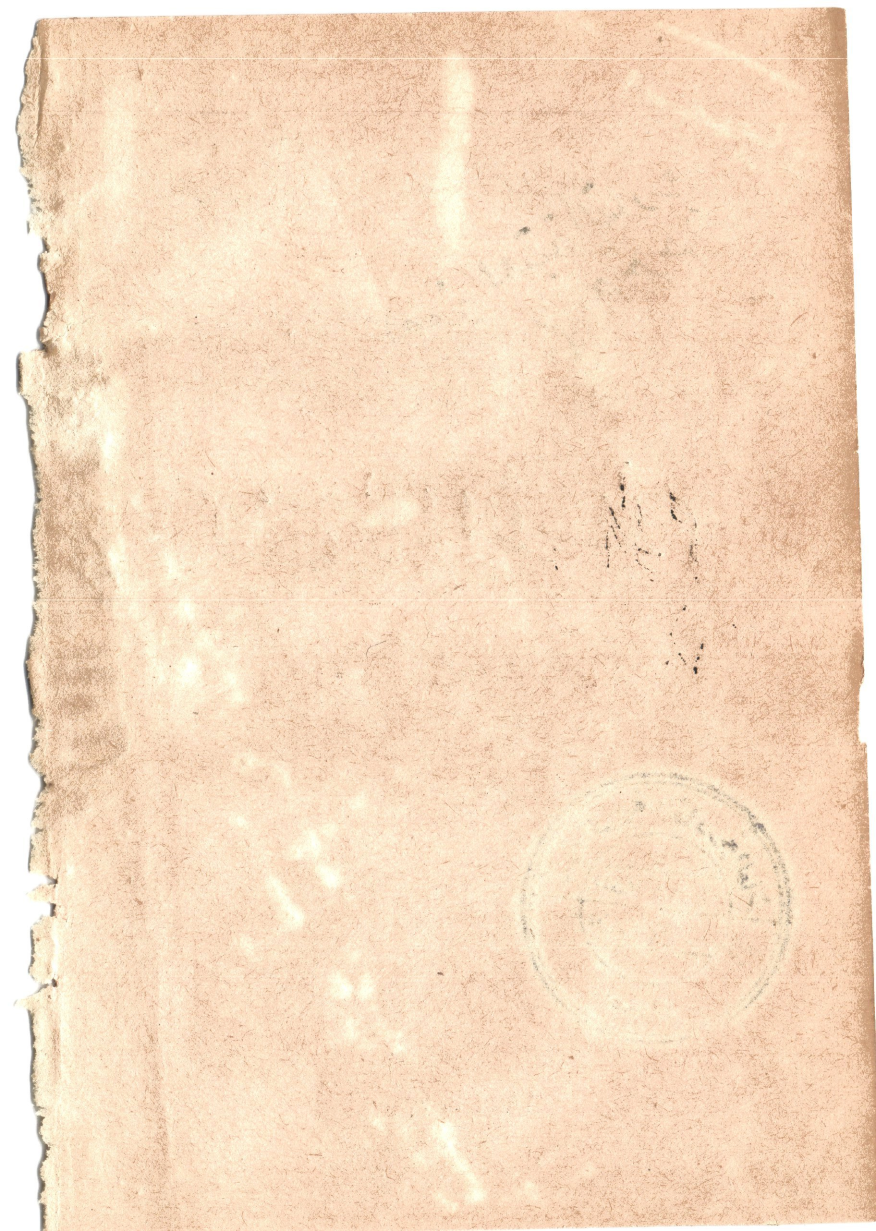
كيف عالج الإسلام

مُشكِلَة الفقر



١٣٧٣ - ١٩٥٤

مطبعة العاني - بغداد



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستنصره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ٠

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ٠

ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ٠

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا ٠

وصل اللهم على أشرف عبادك ، وصفوة مخلوقاتك ، وامام أنبيائك ، محمد بن عبدالله ، الذى أرسلته رحمة للعالمين ، وهاديا للضالين ، وسراجا للمهتدين ٠

وصل اللهم على حملة رسالتك ، وناشرى وحيك على نبيك ، وزبدة خلقك بعد أنبيائك ، أبى بكر وعمر وعثمان وعلي وأبى عبيدة وطلحة والزبير وعبدالرحمن وسعد وسعيد ، من بشرهم رسولك ومصطفاك، بجنتك ورضاك٠

وصل اللهم على بقية أصحاب نبيك وآل بيته ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين ٠

أما بعد : فقد قررت جمعية الآداب الاسلامية اصدار رسائل موجزة فى تفهيم حقائق الاسلام ، والدعوة الى السير على هداها ، واتباع نهجها فى نواحى الحياة الاجتماعية للفرد والجماعة والامة على السواء ٠

وقد نشرت الجمعية من قبل رسـائل فى بعض تلك النواحى ·

واليوم تقدم الى القراء الكرام هذه الرسالة (كيف عالج الاسـلام مشكلة الفقر) ، جمعت من بين طيـات الكتب وصحائف المجلات ·

وهذه الرسالة مقدمة لكتاب سيستوفي النواحي التى يقتضيها هذا الموضوع ·

هذا والله نسأل أن يوفقنا لاصدار رسـائل أخرى توضح نواحي الاسلام ، ليستنير بها المؤمن ، ويهتدى بها الجاحد . والله الموفق والمعين ·

كمال الدين الطائي

نسمع فى العالم كله الآن صيحات متعالية بوجوب وضع حد للفقر والفاقة والعدل الاجتماعى ، بفرض نظم تقى الناس شر الفقر ، وتكفل لهم حياة طيبة سعيدة •

لقد تعالت الاصوات من أوربا وأمريكا بهذا النداء منذ قرن فقط • ولم تعلم أوربا وأمريكا بأن الاسلام قد دعا الى هذا المبدأ منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا • ولم يقف عند حد وضع المبدأ كبقية الانظمة والقوانين ، بل عمل على تطبيقه ، فجعله متصلا بكيان الأمة من الناحيتين المادية والمعنوية ، وهذا ما لم نعهده فى غير الاسلام وتعاليمه • ولقد بنى أسلوبه هذا على أساس ما فرضه من أنظمته المالية والتأديبية التى جعلت الفقراء فى مأمن من العيش ، ومدد مادى لا ينقطع ، ما دام العمل جار على سنن الاسلام وتعاليمه •

فالاسلام ليس نظاما روحيا فحسب كما يظن المتحذلقون ، أو نظاما ماديا كما يحسبه المتأولون

المتجردون ، بل هو مبادىء عامة ، وقوانين شاملة ، تحفظ حقوق الفرد والجماعة ، وتعين علاقة الفرد بالفرد ، وعلاقة الفرد بالمجموع .

لقد دعا القرآن الكريم الى مبدأ التضامن الاجتماعى ، فنادى بأن فى أموال الاغنياء حقا للسائل والمحروم ، ليتم التكافل والتعاون بين جميع طبقات الامة :

(والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) .

ولقد حض الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم على تضحية الاغنياء بالمال تخفيفا لآلام البؤساء ، وترفيها عن ذوى الحاجات، وقضاء على الضغائن والحزازات، وبثا لروح المحبة بين أفراد الامة، حتى تصبح أسرة واحدة. فقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس منا من بات شبعان وجاره جائعا .

لينظر المرء الى العبادات التى أوجبها الاسلام على أتباعه، فهى بمجموعها ترمى الى توحيد الله سبحانه وتعالى ، والبر بالمجتمع الانسانى .

فما ذكر الايمان الا وذكر معه صالح الاعمال وما ذكرت الصلاة الا وذكرت معها الزكاة ، وما ذكر الصوم الا وذكر معه الصدقة ، وما ذكر الحج ألا وذكر معه النحر واطعام

الفقراء .

لقد افترض الاسـلام لضمان حق الفقير من الثروة الاجتماعية العامة ، الزكاة ، وهى : الضريبـة الثابتة التى يؤديها الغني من ماله ، وجعلها ركنا ثالثا من أركانه ، ولم يقبل فيها أى اعتذار .

لقد جرد أبو بكر الصديق رضوان الله عليه جيوشه وحارب بها مانعي الزكاة لان مانعيها مساوون فى الحـكم للجاحدين للدين ، فبدأهم رضى الله عنه بنفسـه ، وقد اعترضه علي بن أبى طالب رضى الله عنه وأخذ بزمام راحلته وقال له : أقول لك كما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : شِمْ سيفك (أى اغمـده) ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينـة ، فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للاسلام بعدك نظام أبدا .

واذا كان الاسـلام يحـدد من تصرفات أصحاب الاموال بنظام الزكاة الذى يلزمهم باخراج جزء معين من تلك الاموال ويتدخل فى سلطتهم ، فان ذلك التحديد وذلك التدخل مقبولان لدى النفوس بحـكم ما فيهمـا من قوة التدين .

ونظام الزكاة هذا غير مرتبط بقيام فرد بالحكم دون

آخر ، بل هو نظام أبدي نافذ الحكم ما دامت السماوات والارض ، لم يصل الى مستواه أى تشريع وضعى على اختلاف الاسماء والنزعات .

والاسلام مع تقريره مبدأ المساواة لا يمنع التفضيل فى العمل والمواهب والعلم ، ولا يحرم الفرد أن ينال جزاء مجهوده الشخصى فى هذه الحياة الدنيا : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) ، ولكنه فى الوقت نفسه فرض عليه أن يخصص جزءا مما اكتسبه من مال وعلم لمن هو دونه .

ومن تلك الضمانات التى حفظت حق الفقراء فى أموال الاغنياء ، صدقة الشكر : كصدقة الفطر : وهى جزء من المال يؤديه الصائم للفقير يختم بها صومه ليكون أدنى للقبول من الله ، بل أوجبها حتى على غير الصائمين من ذوى الاعذار ، بل حتى على الاطفال ومن لم يبلغوا الحلم .

وأضحية النحر أيام عيد الاضحى .

وعقيقة المولود وهى الذبيحة التى تذبح عند الولادة .

وصدقة الرجاء ، وهى ما ينذره الانسان من نذر بين يدى رجائه فى أمر من الامور .

وككفارة اعتداء المحرم على الصيد أو اخلاله ببعض

الواجبات ، أو انتهك حرمة من الحرمات ٠

وكفدية الافطار فى نهار رمضان ٠

وككفارة اليمين اذا حنث المرء فى يمينه ٠

وككفارة الظهار ٠

كما جعل له حصة معينة فى الغنائم والفيء ٠

وأما الصدقات الدائمة ، ونعنى بها تلك التى لا يحدها مقدار ولا زمان ، فقد أطنب الله تبارك وتعالى فى الحث عليها ، وتحبيبها لنفوس المؤمنين ، قال سبحانه وتعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين) ٠

لقد وضع الاسلام أعظم نظام لتوزيع الثروة على أكبر عدد ممكن ولا سيما بين الاسر ، فمن ذلك الميراث ، حيث توزع ثروة المتوفى على أقربائه ، ثم جعل ثلث الثروة يتصرف فيها المتوفى ويضعها حيث يشاء من غير الورثة وهى بطبيعة الحال تعود على الفقراء ٠

ولقد اعتبر القرآن الكريم اطعام الفقير والمسكين العقبة التى اذا اقتحمها الانسان وصل الى السعادة الحقة التى لا يشوبها تنغيص ولا ألم ، قال تعالى : (فلا اقتحم العقبة وما

أدراك ما العقبة ، فك رقبة ، أو اطعام فى يوم ذى مسغبة ، يتيماً ذا مقربة ، أو مسكيناً ذا متربة ، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ، أولئك أصحاب الميمنـــة) .

كما انه قد أعلن بأن المال فى يد الاغنياء ليس الا وديعة الله استخلفهم فى حفظه وادارته وتوزيعه ، وان ما يعطيـه الغني للفقير من مال ليس تبرعاً ولا تطوعاً وانمـا هو حق مفروض يصون به كرامته ، وهو حق مقدر من الله تبارك وتعالى : (والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) . كما انه حث على اخفاء الصدقة عند دفعها ، لئلا يتألم الفقير وتتأثر نفسه : (ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير) .

ولقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يظلهم الله يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله ذكر منهم : رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه .

ولقد خطب أمير المؤمنين وفاروق الاسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوما فقال : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الاغنياء وقسمتها على

فقرائهم . ولما انتهت ضائقة عام الرمادة خطب رضوان الله عليه فقال : لو أن ربي ما فرجها لأدخلت على كل ذى سعة من المسلمين مثل عدد عياله ، وما كان لولدين أن يجوعا من طعام ولد واحد . وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الله تعالى فرض على الاغنياء فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا أو عروا الا بما يصنع أغنياؤهم ، ألا وان الله يحاسبهم حساباً شديداً ، ويعذبهم عذاباً أليماً .

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له ، قال : فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا انه لا حق لأحد منا فى فضل . وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اكسنى يا رسول الله ، فأعرض عنه الرسول ، ثم عاد فقال : اكسنى يا رسول الله ، فقال : أما لك جار له فضل ثوبين ؟ قال : بلى غير واحد ، قال : فلا يجمع الله بينك وبينه فى الجنة .

ولقد ذكر الفقهاء ان من لقى عطشان ومعه ماء ، أو لقى جائعاً ومعه طعام فمنع العطشان الماء أو الجائع الطعام

وهو يعلم أنه لا يجوز له منعه وانه يموت ان لم يسعفه بما عنده حقت عليه عقوبة القصاص . وقد ذكر الامام أبو يوسف فى كتابه الخراج أن قوماً وردوا ماء فطلبوا من أهله السماح لهم بالشرب منه وسقي دوابهم فأبوا ، فقالوا لهم : ان أعناقنا وأعناق مطايانا قد كادت تنقطع من العطش، فأبوا عليهم أيضاً ، فلما رجعوا وذكروا ذلك لعمر بن الخطاب قال : هلا وضعتم فيهم السلاح ؟.. وروى يحي بن آدم فى كتابه الخراج : ان رجلا أتى أهل ماء فاستسقاهم فلم يسقوه حتى مات عطشانا فألزمهم عمر بن الخطاب ديته، ولم يمنعه من ذلك انهم منعوا ما يملكون .

لقد قرن الله سبحانه وتعالى البخل بالكفر حيث قال : (وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) .

ولقد ذكر ابن حزم فى كتابه المحلى (ج ٦ ص ١٥٦ وما بعدها) بحثاً مستفيضاً عن حق الفقير فى مال الغني ، وهذا ملخصه :

وفرض على الاغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك ان لم تقم الزكاة بهم ، ولا فى سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لابد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ،

وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة .
وبرهان ذلك قول الله تعالى : (وآت ذا القربى حقه والمسكين
وابن السبيل) وقال تعالى (وبالوالدين احسانا وبذى القربى
واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب
وابن السبيل وما ملكت أيمانكم) ، فأوجب تعالى حق
المساكين والجار وما ملكت اليمين مع حق ذى القربى ،
وافترض الاحسان الى الابوين وذى القربى والمساكين
والجار وما ملكت اليمين ، والاحسان يقتضى كل ما ذكر
ومنعه الاساءة بلا شك . وقال تعالى (ما سلككم فى سقر ،
قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين) ، فقرن الله
تعالى اطعام المسكين بوجوب الصلاة . وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال : من لا يرحم الناس لا يرحمه
الله . وعن عبدالرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما
أنه قال : ان أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء ، وان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : من كان عنده طعام اثنين
فليذهب بثالث ، ومن عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو
سادس . ثم قال : ويقولون : من عطش فخاف الموت
ففرض عليه أن يأخذ الماء حيث وجده ، وان يقاتل عليه ،
فأى فرق بين ما أباحو له من القتال على ما يدفع به عن نفسه

الموت من العطش ، وبين ما منعوه من القتال عن نفسه فيما يدفع به عنها الموت من الجوع والعرى ، وهذا خلاف للاجماع والقرآن ، وللسنن وللقياس .

ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير وهو يجد طعاماً فيه فضل عن صاحبه لمسلم أو ذمي ، لأن فرضا على صاحب الطعام اطعام الجائع ، فاذا كان ذلك كذلك فليس بمضطر الى الميتة ولا الى لحم الخنزير ، وله أن يقاتل عن ذلك ، فان قتل فعلى قاتله القود ، وان قتل المانع فالى لعنة الله ، لانه منع حقا ، وهو طائفة باغية . قال تعالى : (فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى أمر الله) ومانع الحق باغ على أخيه الذى له الحق ، وبهذا قاتل أبو بكر الصديق مانع الزكاة .. اهـ .

هذا بعض ما فى الاسلام من أنظمة وتعاليم تكفل حقوق المجتمع بمختلف طبقاته . ولو أن دعاة النظريات المتطرفة الغريبة عنا نظروا الى ما فى الاسلام من مبادىء وأحكام بعين لا غش فيها ، لعلموا انهم باعتناقهم لتلك النظريات الطارئة والدعوة اليها انما يركسون أمتهم وبلادهم فى مهاوى البلاء والدمار ، ولعلموا أن جميع المبادىء لا قبل لها باصلاح الناس غير مبدأ الاسلام ، مبدأ الخير والرشاد

والصلاح ٠

ان من يريد اصلاح أمته يجب أن يبنى قوانينها وأنظمتها على مبادىء عقيدتها ، لان العقيدة تسيطر على الجزء الاعظم من النفس الانسانية ، وكلما كانت الانظمة مستخلصة من معتقدات الشعب كان لها قوة الاستقرار والدوام ٠

* * *

(٢)

لقد أشربت قلوب الاغنياء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين من بعدهم حب الفقراء ، فأحسنوا اليهم ، وعطفوا عليهم ، وتوجوا ايمانهم ببرهم ، وذلك زلفى الى الله ، واقتداء برسوله الكريم ، الذى كان دائم الحدب على الفقراء ، شديد العطف عليهم ، يوصى المؤمنين بهم ، ويضرب لهم من نفسه خير الامثال • ومع ذلك كله فقد عاتبه تبارك وتعالى لانه تصدى لقوم من رؤوس العرب يرجو من وراء ايمانهم ايمان قومهم ، وهم : عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، والعباس بن عبدالمطلب ، وأمية بن خلف ، والوليد بن المغيرة ، وتلهى بهم عن رجل فقير أعمى جاءه وهو ابن أم مكتوم فنزل اذ ذاك قول الله تبارك وتعالى : (عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكّر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى فأنت له تصدى ، وما عليك الا يزكى ، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى) •

ولما نزل قوله سبحانه وتعالى : (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون) ، قال أبو الدحداح لرسول الله صلى الله عليه وسلم : فداك أبى وأمى يا رسول الله، ان الله يستقرض وهو غنى عن القرض قال : نعم ، يريد أن يدخلكم الجنة به، قال : فان أنا أقرضت ربى قرضا يضمن لى به ولصبيتى الدحداحة معى الجنة ؟ قال : نعم، قال : ناولنى يدك، فناوله عليه الصلاة والسلام يده ، فقال : ان لى حديقتين احداهما بالسافلة والاخرى بالعالية ، والله لا أملك غيرهما ، قد جعلتهما قرضا لله ، قال رسول الله : اجعل احداهما لله والاخرى دعها معيشة لك ولعيالك ، قال : اشهد يا رسول الله انى جعلت خيرهما لله تعالى ، قال : اذن يجزيك الله به الجنة. فانطلق أبو الدحداح وأخبر زوجته بعمله، فقالت له : ربح بيعك بارك الله لك فيما اشتريت .

ولقد كان سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقوم بمساعدة بعض ضعفاء المسلمين قبل خلافته ، وكان يحلب لامرأة ضعيفة شياهها ، وعندما بويع بالخلافة سمع ابنتها تقول لها : من يحلب لنا اللبن بعد ذلك ؟ فقال أبو بكر : والله لن يغير هذا الامر منى شيئا ، وظل يحلب لهم وهو

خليفة . ولقد كانت عجوز عمياء فى أطراف المدينة يتعاهدها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم أخذ يجيئها فيجد امرءاً قد سبقه اليها فبرها وأحسن حالها واستسقى لها وأصلح من أمرها ، فيعجب منه ويزيد فى البكور فلا يسبقه، فرصده مرة من أول الليل حتى جاء فاذا هو أبو بكر الصديق ، وهو يومئذ خليفة المسلمين .

ولما قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى حمص كان أول عمل له ان أمر بتسجيل الفقراء وتقديم قوائم بأسمائهم، ولما قدمت له القوائم رأى من ضمنها اسم سعيد بن عامر ، فقال عمر : ومن سعيد بن عامر ؟ قالوا : هو أميرنا ، قال عمر : وأميركم فقير ؟ قالوا : نعم ، فقال عمر : أين رزقه ، أين عطاؤه ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين لا يمسك شيئا ، فانه يوزعه على الفقراء ، فبكى عمر ، ثم أصر ألف دينار وبعثها اليه وقال : اقرؤه عنى السلام وقولوا له : بعث بها اليك أمير المؤمنين فاستعن بها ، فلما قدمت الدنانير الى سعيد نظر اليها وجعل يقول : انا لله وانا اليـــه راجعون ، فقالت له امرأته : ما شأنك ؟ أأصيب أمير المؤمنين ؟ قال : أعظم ، فقالت : أفظهرت آية ؟ قال : أعظم من ذلك ، قالت : فما شأنك ؟ قال : الدنيا أتتنى ، الفتنة أتتنى ، قالت له : فاصنع

فيها ما شئت ، فبات يصلى طول ليلته حتى أصبح ، فاعترض جيشا من جيوش المسلمين ، ففرق هـذه الدنانير عليهم ورجع فرحا .

لم يجعل الاسلام الفقر سببا للازدراء ، بل جعل الفقير الصالح أعلى من أى رجل آخر مهمـا كان ماله وجاهه ، ولقد نادى فاروق الاسلام عمر بن الخطـاب رضوان الله عليه جمهور الفقراء بقوله : يا معشـر الفقراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق واستبقوا الخيرات .. وقـد خطب معاوية بن أبى سفيان فى يوم جمعة فقال : أيها الناس لقد أمرنا القرآن أن لا نرى فى الفقر مسـبة وفى الثراء مكرمة ، فالفقير والغني سواء فى نظر المسلم ، ولهذا اختار النبى صلى الله عليه وسـلم الفقر على الغنى ، ففى الفقر تواضع النفس ، ويرق الطبع ، وفى الثراء يستفحل شر الخيلاء والعتو ، فلنختر وسط الامرين برفع مستوى الفقير الى ما يرفه عنه ، وانزال شراهة الثرى الى حدود الاعتدال ، وبذلك تستقيم المساواة بين الناس .

ولقد نص الاسلام على التكافؤ بين جميع المسلمين فى المال فقال سيدنا عمر بن الخطاب : والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد ، والله ما أنا أحق به من أحد ، والله ما أحد

الا وله فى هذا المال نصيب ، فالرجل وبلاؤه ، والرجل وقدمه ، والرجل وحاجته ، والله لئن بقيت لهم ليصلن الراعى بجبل صنعاء حقه من هذا المال وهو فى مكانه يرعى .

لقد ساوى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بين جميع المسلمين فى العطاء ، ولم يخص أهله بزيادة يتميزون بها عن سائر أفراد الامة .

وعندما أخذت الاموال تأتيه من كل ناحية وصوب دعا مجلس الشورى للاجتماع ، ثم صعد المنبر فقال : أيها الناس قد جاءنا مال كثير ، فان شئتم كلنا لكم كيلا ، وان شئتم عددنا لكم عداً ، فقال علي رضى الله عنه : تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من مال ولا تمسك منه شيئا .. وقال عثمان بن عفان رضوان الله عنه : أرى مالا كثيرا يسع الناس ، وان لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ حسبت ان ينتشر الامر .. فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة : قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جندا ، فدونوا ديوانا وجندوا جندا . فأخذ عمر بقوله ، وشرع فى تأسيس الديوان ، ودعا عقيل بن أبى طالب ، ومخرمة بن نوفل ، وجبير بن مطعم ، وكانوا من

نسابة العرب فقال لهم : اكتبوا الناس على منازلهم ، فبدؤا بنى هاشم ، ثم اتبعوهم أبا بكر وقومه ، ثم عمر وقومه ، وهكذا أتوا على جميع القبائل العربية . فلما اطلع عمر على عملهم هذا قال لهم : وددت والله انه هكذا ، ولكن ابدؤا بقرابة النبى صلى الله عليه وسلم الاقرب فالاقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله تعالى .

وبعد ان انتهى التسجيل والتدوين فرض (٥٠٠٠) خمسة آلاف درهم للمهاجرين والانصار ممن شهد بدراً ، و (٤٠٠٠) أربعة آلاف درهم للمهاجرين والانصار الذين لم يشهدوا بدراً ، و (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف درهم لمن هاجر قبل الفتح ، و (٢٠٠٠) ألفى درهم لمن شهد القادسية واليرموك ، و (٤٠٠) أربعمائة درهم لاهالى اليمن ، و (٢٠٠) مائتى درهم لمن شهد الحروب التى وقعت بعد القادسية واليرموك ، و (٢٠٠) مائتى درهم لبقية الناس .

وقد فرض عمر رضوان الله عليه أعطيات حتى للاطفال فكانت الامة يعيش جميع أفرادها فى رخاء وهناء ، لا يفكر أحدهم فى طعامه ولا فى شرابه ، لان الحكومة قد تكفلت بذلك .

وقد ذكر اليعقوبى فى تاريخه انه كان ينفق على سكان

المدينة المنورة وحدها (٣٠) ثلاثين مليونا من الدراهم فى كل عام .. ولا ندرى هل يوجد فى الانظمة الحديثة مثل هذا .

هذا ما عمله عمر للترفيه عن الامة ، ثم انظروا الى أعماله مع أهله وأقاربه :

روى أنه بينما كان يمشى فى سكة من سكك المدينة ومعه جماعة من أصحابه اذا هو بصبية تطيش هزالا ، تقوم مرة وتقع أخرى ، فقال عمر : يا حوبتها يا بؤسها ، من يعرف هذه منكم ؟ فقال له ابنه عبدالله : أما تعرفها يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، قال : هذه احدى بناتك ، قال : وأى بناتى هذه ؟ قال : هذه فلانة بنت عبدالله بن عمر ، فقال عمر : ويحك ما صيرها الى ما أرى ؟ فقال : منعك ما عندك ، قال عمر : ومنعى ما عندى منعك أن تطلب لبناتك ما يطلب الناس لبناتهم ، انك والله مالك عندى غير سهمك فى المسلمين وسعك أو أعجزك ، هذا كتاب الله بينى وبينكم .

هذه واحدة من مئات مثلها من أعماله مع أهله وأقاربه . ثم انظروا اليه رضى الله عنه كيف كان يعامل بقية رعيته وكيف يغدق عليهم الخير العميم . وهذه واحدة من

ألوف :

قال أسلم مولى عمر رضى الله عنه : خرجت مع عمر الى السوق ، فلحقته امرأة شابة ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، هلك زوجى وترك صبية صغاراً ، والله ما ينضجون كراعا ، ولا لهم ضرع ولا زرع ، وخشيت عليهم الضيعة ، وأنا ابنة خفاف بن أيماء الغفاري ، وقد شهد أبى الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فوقف معها ولم يمض، وقال : مرحبا بنسب قريب . ثم انصرف الى بعـــير كان مربوطا فى الدار ، فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاما ، وجعل بينهما نفقة وثيابا ، ثم ناولها خطامها وقال : اقتاديه فلن يفنى هذا حتى يأتيكم الله بخير .

وقال الحسن البصرى : شهدت منادى عثمان بن عفان رضى الله عنه ينادى : يا أيها الناس ، اغدوا على أعطياتكم فيغدون ويأخذونها وافية ، يا أيها الناس اغدوا على أرزاقكم فيغدون ويأخذونها وافية ، حتى والله سمعته أذناي يقول : اغدوا على كسوتكم ، فيأخذون الحلل ، اغدوا على السمن والعسل . قال الحسن : أرزاق دارّة ، وخير كثير ، وذات بين حسن ، ما على الارض مؤمن يخاف مؤمنا ، الا يوده وينصره ويألفه ...

وان مما كتبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى عماله فى الجزيرة العربية قوله : ارفعوا عن الرعية وخاصة المعسرين ما شرّعه أشرار العمال من سنن الظلم ، وما أحدثوا من الرسوم الباطلة والمعـــاملات الجائرة ، وأغدقوا على المكدود الأجر ، ولا يضام منهم كسير ، ولا تباح لهم سائمة أو يكلفوا بعلوفة أو غرم ، ولا يطـالبون بضريبة ولا مكس ، واسهروا على معايشهم وحرفهم ، ولا تأخذوا حاضرا بغائب ، ولا بريئا بمتهم ، واختاروا لمهام الخراج والاعشار والصدقات أولئك الذين كشفت الغمة أخبارهم والمحنة ديارهم وعيالهم ، فهؤلاء أولى النـــاس بالتلطف بالناس عند مباشرة الجباية واستـدرار الاموال بالرفق ، واتبعوا فى سيرتكم مع الرعية سـبيلا وسطا ، فبذلك يستقرر الفىء ويعم الصلاح ، وينعم المعوز بالرفاه ، وأقيموا الملاجىء لارباب الفاقة الذين أصـابهم حيف ، وانظروا بعد ذلك فى سبيل صرف ما تجمع لديكم طبقا لما ذكر الله فى كتابه الكريم .

وكان الخليفة الاموى عمر بن عبدالعزيز يرى وهو قابع لمفرده باحدى زوايا الطرق ليلا ، وقد سئل مرة فى ذلك فقال : انى أرابط هنـــا متحريا عن الذين يكتنفهم

الجوع فى الليل ، ولو كنت أعلم أين مكانهم لذبحت لهم ناقتى وحملتها اليهم اربا حتى منازلهم ، أجاركم الله هل بينكم من يدلنى على هؤلاء المرهقين .

وقد كان يجوب الاحياء فى معظم الليالى وأمامه قارع على الطبل ينادى : هل من معوز فيجار ، أو جائع فيطعم ، أو مظلوم فينصف ، هذا أمير المؤمنين ابن عبدالعزيز يشاطركم نفسه ويمد اليكم أشطان الرعاية والاستجابة .

وان أول ما عمله عندما تولى الخلافة أن مزق جميع سجلات ما ورثه من أملاك وقدمها لبيت مال المسلمين ، فقال له تابعه مزاحم : يا أمير المؤمنين ، هل تدرى كم ولدك ؟ فقال له عمر : أكلهم الى الله .. ولقد رفض مواكب الخلافة وملابس العز فردها كلها الى بيت مال المسلمين ، ثم قطع ما كان قد خصص لامراء البيت المالك من مخصصات ، واجرى لهم مرتبات كسائر أفراد المسلمين وقد دخلت عليه أحدى عماته لتعاتبه على قطعه ما كانت تتناوله من أسلافه ، فوجدت بين يديه أقراصا من الخبز وشيئا قليلا من الزيت والملح وهو كل عشائه ، فقالت له : يا أمير المؤمنين ، أتيت لحاجة لى ثم رأيت ان أبدأ بك قبل حاجتى ، فقال لها : وما ذاك يا عمة ؟ قالت : لو اتخذت لك طعاما

ألين من هذا ؟ فقال لها : ليس عندى يا عمة ، ولو كان عندى لفعلت . ثم قالت له : يا أمير المؤمنين كان عمك يجرى علي كذا وكذا ، ثم كان أخوك الوليد فزادنى ، ثم كان أخوك سليمان فزادنى ، ثم وليت أنت فقطعته عنى ، فقال لها : يا عمة ، ان عمى عبدالملك وأخى الوليد وأخى سليمان كانوا يعطونك من مال المسلمين ، وليس ذلك المال لى فاعطيك اياه ، ولكنى اعطيك من مالى ان شئت ، قالت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : عطائى مئة دينار فهل لك ؟ فصاحت : وما يبلغ منى عطاؤك ؟ فقال لها : فلست أملك غيره يا عمة .

ولقد طلبت زوجة الملك نورالدين زنكى (وكان ملك مصر وسورية والموصل) منه بعض المال ، فاعطاها ثلاثة دكاكين كانت له فى حمص وكان اجارها فى السنة عشرين دينارا ، فلما استقلتها قال لها : ليس لى الا هذا ، وجميع ما بيدى انا فيه خازن للمسلمين ، لا أخونهم فيه ، ولا اخوض نار جهنم لاجلك .

عندما مات صلاح الدين الايوبى لم يخلف فى خزائنه من الذهب والفضة الا سبعة وأربعين درهما ناصرية ، ودينارا واحدا من الذهب .

ولم يخلف ملكا ولا دارا ولا عقارا ولا شيئا من متاع

الدنيــا •

وهذا هو صلاح الدين الذى استولى على كنوز الفاطميين المملوءة بالدرر والجوهر واللآلىء والياقوت والذهب •

ولقد أستمر البيع بمخلفات هؤلاء الفاطميين نحوا من عشر سنين ولم تنفد •

ان الاسلام قدر خطر اهمال حق الفقير ، كما قــدر فوضى النظام وفساد المجتمع اذا هو الغى الملكية الفردية فأقر الملكية الفردية وفى الوقت نفسه أباح لولى الامر أن يحد منها •

ولقد جعل عمر ابن الخطاب رضوان الله عليه أراضى سواد العراق وأراضى مصر والشام التى فتحها المجاهدون العرب ملكا شــائعا بين المسلمين ، ومنع القادة والفاتحين عن تملكها ، بل جعلها محبوسة فى بيت المال ، ولم يلتفت الى طلب الفاتحين المحتجين بظواهر نصوص القرآن وبما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أراضى خيبر ، وكان يرى أنه اذا قسم أرض العراق بعلوجها وأرض الشـــام بعلوجها فما يسد به الثغور ؟ ومن أين ينفق على الجيوش الفاتحة ، ويحتج لعدم التقسيم بمصلحة المسلمين • ولقد جمع رضى الله عنه كبار الصحابة فأستشارهم فى ذلك ،

فكان ممن وافقه على رأيه عثمان بن عفان وعلي بن أبى طالب ، وطلحة بن عبيدالله ، ومعاذ بن جبل رضوان الله عليهم ، حتى أن معاذا قال لسيدنا عمر : انك ان قسمتها صار الربع العظيم فى أيدى هؤلاء القوم ، ثم يبيدون فيصير ذلك الى الرجل الواحد أو المرأة ، ثم يأتى من بعدهم قوم يسدون من الاسلام مسدا وهم لا يجدون شيئا ، فانظر أمرا يسع اولهم وآخرهم .. وما زال يستشير ويناقش حتى وجد الحجة على القائلين بالتقسيم فى سورة الحشر حيث ذكر تعالى المستحقين للفىء بقوله : (ما افاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وأبن السبيل كى لايكون دولة بين الاغنياء منكم) ثم ذكر تعالى المهاجرين : (للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم) ، ثم عقبهم بالانصار : (والذين تبؤوا الدار والايمان من قبلهم) ، ثم ختم ذلك بقوله : (والذين جاؤا من بعدهم) فقال عمر : ما أرى هذه الآية الا عمت الخلق كلهم حتى الراعى بكداء ، ثم قال : تريدون ان يأتى آخر الناس ليس لهم شىء ، فما لمن بعدكم ، ولولا آخر الناس ما فتحت قرية الا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر . فرأى عمر رضى الله عنه أن من أكبر

مقاصد الشريعة فى الاموال تيسير دورانها على آحاد الامة ، وان لا تكون فى طائفة معينة يتلقاها الفرع عن أصله ..
ولهذا قال الامام أبو يوسف يعقوب الانصارى : والذى رأى عمر رضى الله عنه من الامتناع من قسمة الارضين بين من افتتحها عندما عرفه الله ما كان فى كتابه من بيان ذلك توفيقا من الله ، كان له فيما صنع ، وفيـــه كانت الخيرة لجميع المسلمين ، وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم النفع لجماعتهم ، لان هذا لو لم يكن موقوفا على الناس فى الاعطيات والارزاق لم تشحن الثغور ولم تقو الجيوش على السير فى الجهاد .. اهـ .

ولقد استولى عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه على جميع ما استولى عليه الحكام وذوو النفوذ ودفعه لبيت مال المسلمين كما أحرق سجلات خيبر وأعادها فيئا للمسلمين .

ولقد وضع الاسلام الطرق الواقية من شر الطغيـــان المالى القاضى بتحكم أرباب المال واستغلال الفقراء ، وبهذا احتفظ بسنة القوانين وأصول الجماعات والحقوق الفردية وأمن فى الوقت نفسه فتنة الفوضى ، فوقف وســـطا بين الافراط والتفريط .

ان كل هذه التطورات التى نقلت العالم من حال الى

حال ، ودفعت العقول الى مناح من النظر المستقل عن جميع الاعتبارات قد وضع اصولها الاسلام واقام عليهـا صرحه الوطيد الاركان ، وهى التى احدث بها آيته الكبرى من الانقلاب الفجائى الذى اوجده فى جزيرة العرب فى سنين معدودة ، ثم انتقل منها الى العالم كله ، ولا يزال يتابع سيره الى اليوم : (وان هـذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) ...

★ ★ ★

(٣)

لقد دلت التجارب على انه لا سبيل لتطهير القلوب من احقادها ، وانقاذ النفوس من ضغائنها ، اعظم من تبادل المعروف والتعاون والاحسان بين الناس ، ولا شيء يوجب البغضاء ويملأ النفوس حقدا مثل الشح وقبض اليد ، لذلك قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : شر ما اعطى العبد شح هالع وجبن خالع .

لقد احاط الاسلام المجتمع بسياج حصين من التعليمات والاوامر ، فقرر هدم الفوارق وآخى بين الطبقات ، وهدد من اعرض عن أوامره بأشد العقوبات ، فالمسلم اخو المسلم يواسيه بماله وجاهه وعلمه وقوته . ولقد مدح الله سبحانه وتعالى الانصار رضوان الله عليهم بقوله : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .

لقد حدد الاسلام واجبات الافراد والجماعات فى عمل البر والاحسان ، وسن لذلك نظاما يشمل الامة جمعاء ،

وأباح لولاة الامور ان يحدثوا اقضية وانظمة بقدر مايحدث من المشكلات ، ولهم ان يكيفوا الاحوال لتسير وفق مصلحة المسلمين عامة ، راميا بذلك الى ازالة بواعث الفقر .

لقد اشعر الاسلام اتباعه بالوحدة القومية الموجبة بالتكافل والتعاون والايثار وان المال المملوك للبعض قوام المجتمع كله . قال سبحانه وتعالى : (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما) . وحارب الشح الذى يمنع من التراحم والبذل ومساعدة الضعفاء (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) . وقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : اياكم والشح فانما اهلك من كان قبلكم الشح ، أمرهم بالكذب فكذبوا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالظلم فظلموا .

ولقد حث القرآن الكريم على مواساة الفقراء والاحسان اليهم ، وان الله سيضاعف لهم الاجر اضعافا كثيرة ، وان ما ينفقونه سيخلفه الله . قال تعالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم . والذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون)

وقال تبارك وتعالى : (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل حبة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين) • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من نفّس عن أخيه المسلم كربة نفّس الله عنه كربة من كرب الآخرة • وقال صلوات الله وسلامه عليه : ان لله قوما يختصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرهم فيها ما بذلوها ، فاذا منعوها نزعها منهم فحولها الى غيرهم • وقال عليه الصلاة والسلام : من اتصلت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس اليه فمن لم يحتمل تلك المؤن عرض لزوال تلك النعم • وورد فى الأثر : الا ان كل جواد فى الجنة حتم على الله تعالى وأنا به كفيل ، الا وان كل بخيل فى النار حتم على الله تعالى وانا به كفيل • قالوا : يارسول الله ، من الجواد ومن البخيل ؟ قال : الجواد من جاد بحقوق الله فى ماله ، والبخيل من منع حقوق الله تعالى وبخل على ربه ، وليس الجواد من أخذ حراما وانفق اسرافا •

ولقد خطب سعيد بن العاص يوما قال : من رزقه الله رزقا حسنا فلينفق منه سرا وجهرا حتى يكون اسعد الناس به ، فانه انما يترك لاحد رجلين ، اما مصلح فلا يقل عليه شيء ، واما مفسد فلا يبقى له شيء • وقال عبدالله بن عباس

لا يزهدنك فى المعروف كفر من كفره ، فانه يشكرك عليه من لم تصطنعه اليه . وقال الحسن والحسين رضى الله عنهما لعبدالله بن جعفر : انك قد اسرفت فى بذل المال ، فقال لهما : بأبى أنتما ، ان الله عودنى ان يفضل علي ، وعودته ان أفضل على عباده ، فأخاف أن اقطع العادة فيقطع عنى .. وقالت امرأة من العرب لابنها : يا بنى اذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق فانها لا تفنى واذا ادبرت عنك فانفق فانها لا تبقى .. وعن فيض بن أسحاق قال : كنت عند الفضيل بن عياض رضى الله عنه اذ جاءه رجل فسأله حاجة فألح بالسؤال عليه ، فقلت له : لا تؤذ الشيخ ، فقال لى الفضيل : اسكت يا فيض اما علمت أن حوائج الناس اليكم نعمة من الله عليكم ، فاحذروا أن تملوا النعم فتتحول ، الا تحمد ربك أن جعلك موضعا تسأل ولم يجعلك موضعا تسأل .

ومن اعظم البر والاحسان الى ذوى القربى ، اذ القريب متطلع الى ما فى يد قريبه ، يراه حقيقا أن يشاركه فى خيره ويسره ، فاختصه الله تعالى بالذكر من بين ضروب الاحسان حتى لا يدعه المرء مطاوعة لداعية نفسه ، واجابة لنفرته من أقاربه ، واكتفاء بشكر الاباعد فاتياء ذى القربى احسان الى النفس بعطف نفوس الاقربين عليها ، واحسان الى الغير

بالترفيه عنهم ، وازالة أدواء الحقـــد والحسد والبغض من نفوسهم .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أحسن القدوة والاسوة مثال العطف على الفقراء والاحســـان الى المحتاجين ، لا يسأل الا اعطى ، وكان يعطى فيغنى ، ولقد رد على هوازن سباياها وكانت ستة آلاف ، وحمل اليـــه تسعون الف درهم فوضعت على حصيرة ثم قام اليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها .

وهؤلاء أصحابه الكرام وهم مصابيح الهداية وحماة الرسالة ساروا على عين الطريق . فهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه قد تصدق بجميع ماله وكان أربعين الفا ، ومات وما ترك درهما ولا دينارا .

وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان حبه للفقراء مضرب المثل ، حتى انه حمل القوت على ظهره واعطـــاه لفقيرة وجـــدها تتضور جوعا هى وأولادها . وكان يأتى المجزرة ومعه الدرة ، فاذا رأى رجلا اشترى لحما يومين متتابعين ضربه بالدرة وقال : الا طويت بطنك لجارك وأبن عمك .

وهذا عثمان بن عفان رضى الله عنـــه قدمت له ألف

براحلة طعاما أيام قحط الناس فى عهد أبى بكر رضى الله عنه ، فقدم عليه التجار يساومونه على شرائها ، وكلما أربحوه على شرائها قال لهم قد زادونى ، فقالوا له : من زادك ونحن تجار المدينة ؟ قال : زادنى بكل درهم عشرة ، عندكم زيادة ، قالوا : لا ، قال : فاشهدكم انها صدقة على فقراء المدينة .

وكان علي رضى الله عنه مثالا نادرا فى حبه للفقراء ، وقد رؤى يوما وهو يبكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : لم يأتنى ضيف منذ سبعة أيام ، فأخاف ان يكون الله قد أهاننى .

وهذه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وقد بعث عبدالله بن الزبير اليها بثمانين ومائة ألف درهم فى غرارتين ، فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس حتى فرغ ، فلما أمست خاطبت جاريتها قائلة : هاتى فطورى ، فجاءت بخبز وزيت ، فقالت لها مولاتها أم ذرة : ما استطعت - فيما قسمت اليوم - أن تشترى لنا بدرهم لحما نفطر عليه ؟ فقالت عائشة : لو كنت ذكرتينى لفعلت .

وهذا عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه قد أنفق على الفقراء والمساكين فى يوم واحد تسعين ألف درهم وسبعمائة جمل .

وهذا طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه أعطى للفقراء فى يوم واحد سبعمائة ألف درهم .

ورؤى أبو ذر رضى الله عنه وعليه حلة وعلى غلامه مثلها ، فسئل عن ذلك ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هم أخوانكم وخولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم من العمل ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فاعينوهم عليه .

وهذا الحسن بن علي رضى الله عنهما ذهب اليه رجل وطلب منه شيئا من المال ، فاعطاه خمسين ألف درهم ومائة دينار واعتذر اليه لقلة العطاء ، وخرج من ماله مرتين ، وقاسم الله عز وجل ماله ثلاث مرات ، حتى كان ليعطى نعلا ويمسك نعلا ، ويعطى خفا ويمسك خفا .

وهذا حكيم بن حزام رضى الله عنه يحج فيهدى ألف بدنة وألف شاة ، ووقف بعرفة ومعه مائة وصيف فى أعناقهم اطواق من الفضة منقوش فيها : عتقاء لله عن حكيم بن حزام . ولقد باع دار الندوة التى كانت بيده بمئة الف درهم وتصدق بها كلها وقال : اشتريت بها دارا فى الجنة .

وهذا حماد بن سليمان التابعى مفتى الكوفة وشيخ

الامام أبى حنيفة النعمان رضى الله عنهما كان يفطر فى كل ليلة من شهر رمضان خمسين صائما ، فاذا كانت ليلة الفطر كساهم واعطى لكل منهم مائة درهم .

وهذا الامام الاعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضى الله عنه كان يجمع أرباح تجارته من سنة الى سنة يشترى بها حوائج الاشياخ المحدثين وقوتهم وكسوتهم ، وكان لا يشترى لعياله شيئا من طعام أو كسوة حتى ينفق مثله على الفقراء . ولقد اصابت بعض الاغنياء فادحة اثقلته ، وقد عضه الجوع ومسه الضر هو وأهله ، فخرج الرجل حتى دخل الى مجلس أبو حنيفة وجلس مليا تقيمه الحاجة ويقعده الحياء ، ثم انفض المجلس وخرج الرجل مع من خرج من دون ان يبدى حاجته ، ولكن أبا حنيفة قد قرأ على وجه الحاجة فاتبعه الى داره دون أن يلحضه ، ولما جن الليل حمل أبو حنيفة صرة فى كمه ودق الباب وقال : ايها الرجل وضعت عند بابك شيئا هو لك ، ورجع مسرعا ، وقد اخذ الرجل الصرة وفتحها فوجد فيها خمسة آلاف درهم . وقد حبس ابراهيم بن عيينة على أكثر من أربعة آلاف درهم ، فهم أصحابه بأن يجمعوا له اكتتابا ، فلما صاروا الى أبى حنيفة أمر برد ما أخذوه من الناس وقضى عنه الدين .

وهذا الامام الشافعى محمد بن ادريس رضى الله عنه قدم الى مكة ومعه عشرة آلاف درهم ، ففرقها على الفقراء حتى لم يبق معه درهم واحد منها .

وهذا الامام الليث بن سعد فقيه مصر وعالمها كان لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة وستين مسكينا بعدد أيام السنة .

وهذا الامام البخارى محمد بن أسماعيل قد حملت اليه بضاعة ، فاجتمع اليه بعض التجار بالعشية وطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم ، فقال لهم : انصرفوا الليلة ، فجاءه فى الغد تجار آخرون فطلبوها منه بربح عشرة آلاف درهم ، فردهم وقال : انى نويت البارحة ان ادفعها الى الفقراء ، فدفعها اليهم .

وكان عبدالله بن أبى ذهل الضبى الهروى تضرب له الدنانير ، وزن الدينار منها مثقال ونصف أو أكثر ، فيتصدق بها ويقول : انى لافرح اذا ناولت فقيرا كاغدا فيتوهم أنه فضة ، فاذا فتحه ورأى صفرته فرح ، ثم اذا وزنه فزاد على المثقال فرح أيضا . وكانت له غلة كثيرة لا يدخل داره الا دون عشرها والباقى يفرقه على المستورين وسائر المحتاجين .

وعن عكرمة بن الاغر عن أبيه قال : كان الاشعث بن قيس لا يقدم من سفر فيصلى الفجر الا كسا أهل المسجد ووصلهم ، قال: وكانت لى على رجل من كندة ألف وخمسمائة درهم ، فأتيته أتقاضاه ، فقال : ما عـندى شىء ، ولكن الاشعث قد قدم اليوم ، وما قدم من سفر قط فصلى الفجر فى المسجد الا كسا ووصل ، فاحضرنا بالغداة فصل معنا ، فانى لارجو أن تأخذ مالك ، قال : فصليت معهم الفجر ، فلمـا سلم الامام قام رجل فقال : أيهـا القوم أقيموا فى صفوفكم ، ثم أعطى كل رجل حلة وخمسمائة درهم ، فقال : فجاءنى الرجل فاعطانى الخمسـمائة درهم التى دفعت اليه ، واعطيت انا خمسمائة أخرى لنفسى ، فانصرفت بألف درهم .

وقال المحسن بن على التنوخى عن أبيه قال : حججت فى موسم اثنين وأربعين ، فرأيت مالا عظيما ، وثيابا كثيرة تفرق فى المسجد الحرام ، فقلت ما هذا ؟ فقالوا : بخراسان رجل عظيم النعم والمال يقال له الزراد ، أنفذ عام أول مالا وثيابا الى ههنا مع ثقة له ، وأمره أن يعطى كذا وكذا من المال والثياب لكل قريشى يحفظ القرآن ، فحضر الرجل عام أول ، فلم يجد فى قريش أحدا يحفظ القرآن الا رجلا

واحدا من بنى هاشم ، فاعطاه قسطه وتحدث الناس بالحديث ورد باقى المال الى صاحبه ، فلما كان فى هذه السنة عاد بالمال والثياب فوجد خلقا عظيما فى جميع بطون قريش قد حفظوا القرآن وتسابقوا الى تلاوته بحضرته ، وأخـذوا الثياب والدراهم وقد فنيت ، وبقى منهم من لم يأخذ ، وهم يطالبونه ، فقلت لقد توصل هذا الرجل الى رد فضـائل قريش عليها بما يشكره الله سبحانه له .

وقال ابن حوقل : كان فى بلاد كرمان نخيل كثير ، وكان لاهلها سنة حسنة فـكانوا لا يرفعون من تمورهم ما اسقطته الريح ، فيأخذه غير أربابه ، وربما كثرت الرياح فيصير الى الضعفاء والمساكين من التمور فى التقاطهم أكثر مما يصير الى أربابه .

بهذا وأمثاله قضى الاسلام والمسلمون على الفقر ودواعيه وكان العالم الاسلامى يعيش أفراده وجماعاته فى بحبوحة من العيش الرغيد حين كانت أحكام الشريعة الغراء هى السائدة ، ولما أعرضوا عنها وحلت الانظمة الحديثة محلها ، استولى على النفوس الطمع والجشع وانقبضت الايدى عن اداء ما أوجبه الله ، فاصبحت تردد بين الناس كلمة فقر وفقراء وغنى وأغنياء .

فيا أيها الناس ، عودوا الى الاسلام لتعود السعادة الى مجتمعكم ، والهناء والرخاء لجميع طبقاتكم ، ويعيش الكل أخوانا على سرر متقابلين .

★ ★ ★

(٤)

ان الشريعة الاسلامية قد حثت اتباعها في معظم ما جاءت به من نظم وأحكام على ولوج سبل الخير ، والاكثار من أعمال البر ، وتوسيع جهات الاحسان . وان من أعظم السبل للقضاء على الفقر وتخفيف آلام المعوزين ، واغاثة الملهوفين والمحتاجين ، هو فتحه باب الوقف للناس الذى به تنتقل الملكية الفردية الى ملكية عامة تعم جميع المسلمين على التعاقب .

والوقف : هو حبس العين على حكم ملك الله تعالى على وجه تعود منفعته للعباد ، بحيث لا يباع ولا يوهب ولا يورث ، ويرصد ريعه اما على مسجد أو مدرسة أو مستشفى أو رباط أو لابناء السبيل والمساكين ، أو الى جماعة معينة . ومآل كل وقف للفقراء والمحتاجين . وهو يلزم بمجرد القول ، لانه اسقاط للملك وجعله ملكا لله تعالى . ولقد منع الشارع حتى الواقف نفسه من ان يتصرف فيما وقفه تصرف الملكية القديم ، وان لا يخرج في القيام عليه على

شرط من الشروط التى نص عليها فى وقفه ، وللقاضى أن يرده عن ذلك اذا اشتط ، وله كذلك ان يعزله اذا خالف أصوله وشرائعه .

والوقف من مبتكرات الاسلام ، وهو من الاصطلاحات الاسلامية الجليلة ، ولا يعرف له نظير فى الجاهلية . قال أبن رشد : لا يعرف جاهلى حبس داره على ولده أو فى وجه من الوجوه المتقرب بها الى الله تعالى . وقال الامام الشافعى : الوقف من خصائص هذه الامة ، ولا نعرف ان ذلك وقع فى الجاهلية .

ولقد وقف كثير من المسلمين وقوفا شتى لمقاصد خيرية مختلفة قصد الثواب واغاثة الفقير والمسكين والارملة واليتيم ، على أن تكون صدقة جارية لا تنقطع ، ومنفعة مستمرة، وذلك عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له .

ولقد جاء عن الصدر الاول من هذه الامة الشىء الكثير فى هذا السبيل . قال جابر بن عبدالله رضى الله عنه : لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو مقدرة الا وقف .

ولقد كان أول وقف فى الاسلام وقف فاروق الاسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ففى صحيح البخارى عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما : ان عمر بن الخطاب جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، انى اصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط هو انفس عندى منه ، فما تأمرنى به ، قال : ان شئت حبست اصلها وتصدقت بها . فتصدق بها عمر أنه لا يباع اصلها ولا يبتاع ولا يورث ولا يوهب ، قال فتصدق عمر على الفقراء وفى القربى وفى الرقاب وفى سبيل الله وابن السبيل والضيف ، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقا غير متمول فيه .. وروى البخارى ومسلم عن انس بن مالك قال : كان أبو طلحة رضى الله عنه أكثر انصارى بالمدينة مالا ، وكان أحب أمواله اليه بيرحا وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ، فلما نزلت هذه الآية (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قام أبو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ان الله تعالى يقول فى كتابه : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وان أحب أموالى الى بيرحا ، وانها صدقة لله ارجو برها وذخرها عند الله ، فضعها يا رسول الله حيث

شئت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بخ ذلك مال رابح ، ذلك مال رابح ، قد سمعت ما قلت فيها ، وانى أرى أن تجعلها فى الاقربين ، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه .

ولقد وقف أبو بكر الصديق رضى الله عنه دارا له بمكة واشترط أن يسكنها من ولده وولد ولده ونسله وجنسه ثم الفقراء من الامة .

ووقف عثمان بن عفان رضى الله عنه ماله الذى بخيبر على ولده بأنه صدقة ثم يعود للفقراء .

ووقف علي بن أبى طالب رضى الله عنه على ذوى الارحام والقربى والبعيد ، حتى روى ان علي بن الحسين كان يأكل ويهدى من أوقاف جده .

وتصدقت فاطمة بنت رسول الله رضى الله عنها بمالها على بنى هاشم وبنى المطلب .

ووقف الزبير بن العوام رضى الله عنه دوره على بنيه ، لاتباع ولاتورث ولاتوهب ، ثم من بعدهم لفقراء المسلمين .

ووقف معاذ بن جبل رضى الله عنه دارا له بالمدينة على أقربائه ، وهى التى يقال لها دار الانصار .

ووقف سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أملاكا على

أولاده ثم تؤول الى الفقراء ·

ووقف عتبة بن عامر داره على ولده وولد ولده ، فاذا انقرضوا فالى أقرب الناس حتى يرث الله الارض ومن عليها ·

ووقفت أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضى الله عنهما دارا لها على أناس يسكنونها ·

ووقفت أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان رضى الله عنهما دارا على مواليها وعلى أعقابهم وأعقاب أعقابهم ·

ووقفت أم المؤمنين صفية بنت حيى رضى الله عنها دارها على بني عيدان حبسا لا يباع ولا يوهب ولا يورث ·

ولقد كان من أثر البر والاحسان هذه الاوقاف المحبوسة فى المشرق والمغرب ·

ولو رجعنا الى بعض الوقفيات فى العراق وغيره من البلاد الاسلامية لوجدنا انها قد خصصت قسما كبيرا من ريع غلاتها لاطعام الطعام وايواء الفقراء والمساكين والغرباء واكسائهم ·

ولقد ابتكر بعض الواقفين رحمهم الله تعالى طرقا عديدة لمساعدة الفقير والمحروم ، وتخفيف آلام البؤساء والمعوزين لم يفكر فيها أحد من غيرهم · من ذلك :

أنه توجد أوقاف فى العراق قد خصص ريعهـا على

تزويج الفقيرات ومن لم يستطع تحمل الصداق .

ويوجـد وقف خصصت غلته على أن تصرف على الفقيرات من العوانس .

وتوجد خانات وتكايا ومنازل ورباطات وقفت لايواء الفقراء والمسافرين مع تقديم الطعام اليهم .

كما خصصت أوقاف لاعانة المحتاجين حسب منزلتهم ومكانتهم وعلى مقدار أفراد عوائلهم .

كما توجد أوقاف خصصت لاطعام الطعام لكل محتاج أو غريب ، وكانت منتشرة فى جميع أنحاء البلاد لا سيما فى بغداد ، ولـكن دوائر الاوقاف والمتولين على تنفيذ ذلك قد تصرفوا بتلك الموقوفات ، أو بتلك المخصصات حسب ما يشتهون . ولم يبق فى بغداد من يحرص على تنفيذ هـذا العمل الانسانى الا القائمون على الوقف القادرى ، فان المئات من المحتاجين يتناولون فى كل يوم الخبز والطعام من مطابخ الحضرة الكيلانية ، لا يؤخرهم عن تقديمه قحط ولا غلاء .

وتوجد أوقاف خصصت للمستشفيات ، ومنها مستشفى المجاذيم .

وأوقاف خصصت لاعارة الحلى والزينة فى الاعراس والافراح ، بحيث ان الفقراء يستعيرون منه ما يلزمهم من

الحلى لاجل التزين به فى الحفلات ويعيدونه الى مكانه بعد انتائها .

كما توجد أوقاف تستعار منها أدوات السفر والقدور والمفروشات للولائم والمآتم .

ويوجد وقف خصص ريعه للصبيان ، حيث يختبرون كل يوم خميس عن جميع ما قرؤه ، ويعطون بعد ذلك دراهم ، بعثا لهممهم ، وتفريحا لقلوبهم .

وتوجد أوقاف فى بغداد خصصت لطلاب العلم ولمن يتعلمون تجويد القرآن الكريم .

وتوجد أوقاف خصصت لختان أولاد الفقراء واكسائهم وشراء ملابس توزع على الفقراء فى أول الشتاء ، ولتجهيز الموتى من الفقراء .

ويوجد وقف توزع منه الحلواء فى رمضان مجانا .

وتوجد مئات البنايات لسقيا الماء البارد على المارة ، وكان لها موظفون يتقاضون رواتب على ذلك .

ويوجد وقف للاستحمام مجانا ، توضع فيه صرر من الدراهم كل صرة فيها أجرة الحمام ، فيدخل المحتاج الى الاستحمام ويتناول أحدى هذه الصرر ويذهب الى الحمام فيدفعها بعينها ويستحم .

ويوجد وقف خصص ريعه على الميتم الاسلامي لتربية الايتام .

هذا بعض ماهو موقوف على سد حاجة الفقراء والمعوزين في العراق ، وليفتش دعاة الاصلاح الاجتماعي في طيات الوقفيات المطمورة في اضابير دوائر الاوقاف أو المحاكم الشرعية ليعلموا مقدار الحيف الذى لحق الواقفين رحمهم الله تعالى من تصرفات القائمين على شؤون الاوقاف منذ سنة ١٣٣٥هـ - ١٩١٧م ، وكيف ان هؤلاء قد ضربوا بشروط الواقفين عرض الحائط ، وقطعوا جميع موارد الخير عن أصحابها ، وتصرفوا بالموقوفات تصرف المالك بملكه ، فكان عملهم هذا سببا مباشرا لقطع سبل الخير فى هذه البلاد ، وامتناع الناس من وقف أى شيء ، لانهم قد رأوا بأعينهم كيف ان رغبات الواقفين قد ضرب بها عرض الحائط ، وصرفت غلات الموقوفات حسب الرغبات والشهوات بما يصطدم ورغبات الواقفين ، ولا يستسيغ المرء حرمان أهله وأقاربه من ماله ليتصرف به الغير وينفقه فى سبل هى ورغباته على طرفى نقيض .

ان على كل عراقى مخلص لبلاده ودينه أن يطالب بتنفيذ شروط الواقفين ففى ذلك اسعاد الطبقات الفقيرة

وانتعاش الدين .

ومن الموقوفات التي توجد في مصر رباط في القاهرة يسمى رباط البغدادية خصص لاقامة النساء اللاتي طلقن أو هجرن حتى يتزوجن أو يرجعن الى أزواجهن صيانة لهـــن .

وتوجد هناك عدة دور خصصت لاقامة العجائز والارامل والمنقطعات مع مرتبات تصرف على المقيمات في تلك الدور . كما اقامت السيدة رياض رباطا لاقامة النساء المنقطعات .

وأما الاوقاف التي وقفت هناك على الملاجيء والمستشفيات والعجزة والمنقطعين والايتام والعميان وطلاب العلم وتحفيظ القرآن فحدث ولا حرج .

وتوجد في مدينة مراكش مؤسسة أسمها (دار الدقة) لها أوقاف كثيرة وهي ملجأ تذهب اليه النساء اللاتي يقع نفور بينهن وبين بعولتهن ، فلهن أن يقمن في تلك الدار آكلات شاربات الى ان يزول ما بينهن وبين أزواجهن من النفور .

ويوجد فيها بناء يكاد يكون بلدة ، وله ساحة يكاد الطرف لا يأتي على آخرها ، وهو ملجأ يأوى اليه ستة آلاف أعمى ، ينامون ويأكلون ويشربون ويدرسون ، وله أوقاف

لا تكاد تحصى .

وفي مدينة فاس وقف خصص ريعه للعميان وذوى العاهات ، يأخذون منه كل يوم ما يعيشون به ذكورا واناثا على كثرة عددهم .

ويوجد فى تونس وقف خصص لشراء السمك وتوزيعه على الفقراء .

كما يوجد وقف خصص ريعه للمؤذنين الذين يحيون الليل بالنوبة كل منهم يسبح الله تعالى نحو الساعة بصوته الرخيم ، ويسمى هذا المؤذن بمؤنس الغرباء ، أو مؤنس المرضى ، لان المريض لا يقدر أن ينام ، فهذا مؤنسه .

وتوجد أوقاف فى الشام وتونس خصص ريعها لتزويج البنات الفقيرات .

وقد وقفت بنت الملك العادل على الفقيرات المقيمـــات بدمشق مع محل للسكنى .

ويوجد فيها وقف لسقيا الماء المثلوج فى الصيف لعابرى السبيل ، وقد يسقونه بماء الخروب أو غيره من الاشربة .

ويوجد مثله فى مراكش .

ويوجد فيهـــا وقف يسمى وقف الزيادى ، ومثله فى تونس ومراكش ، فيه صحاف من الخزف الصينى الجليل

القدر ، فاذا كسر خادم آنية لسيده وتعرض بذلك لغضبه يذهب الى مكان هذا الوقف ويضع الاناء المكسور ويأتى باناء صحيح بدلا منه .

وذكر ابن بطوطة فى رحلته عند بحثه عن دمشق ما يلى :ـ

والاوقاف بدمشق لاتحصر أنواعها ومصارفها لكثرتها ، فمنها : أوقاف على العاجزين عن الحج ، يعطاها من يحج عن الرجل منهم كفايته ، ومنها أوقاف تجهيز البنات الى أزواجهن ، وهن اللواتى لا قدرة لاهلن على تجهيزهن .

ومنها أوقاف لفكاك الاسارى .

ومنها أوقاف لابناء السبيل يعطون منها ما يأكلون ويلبسون ويتزودون لبلادهم .

ومنها أوقاف على تعديل الطرق ورصفها .

ومنها أوقاف لسوى ذلك من افعال الخير ١٠٠ هـ .

ولو أردنا تعداد ما وقفه أصحاب الاحسان من المسلمين فى وجهات الخير لطال بنا المقال ، ولكننا ذكرنا ما فيه العظة والعبرة .

ولقد ذكر المستشرق الانكليزى المستر (روبرتسون) فى كتابه : جولة فى الشرق عام (١٨٨٦م) :

انه قد احصى عدد الملاجى والتكايا المخصصة للفقراء والغرباء التى زارها فى استنبول والقاهرة ، فبلغت (٤١٥) بيتا ، قدر المقيمين فيها بأربعين ألف رجل وامرأة وطفل ، ثم قال :

كاد الفقر أن يكون منعدما فى هاتين المدينتين الاسلاميتين الكبيرتين ، لاننى ما رأيت متسولا الا من النصارى واليهود وادهش من هذا كله جمال العمارات المبنية لهذه المبرات ، فانها انشئت على طراز شرقى خلاب ، ونقشت على أبوابها من الخارج الآيات القرآنية الحاضة على فعل الخير واغاثة الملهوف والفقير ، بخطوط خلابة ساحرة ، أما من الداخل فكل جدرانها وسقوفها زينت بالنقوش المذهبة الفريدة الصنع ، فكأنك وأنت تسرح النظر فى سحر صنعها تتمتع باستعراض لوائح فنية فى بعض دور الآثار .

ولفت نظرى بصورة خاصة أنه أقيم بقرب كل ملجأ أو تكية حمام وسبيل لاستقاء الماء ، كتب على أكثر أبواب الحماميم (هنا نعيم الجنة) وعلى أبواب التكايا شتى الآيات القرآنية مثل (ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره .. ان الله لايضيع اجر المحسنين .. وتعاونوا على البر والتقوى .. انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى

الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل) وغيرها من الآيات الحاضة على فعل الخير والثواب الذى يلحق فاعليها عند الله .. اهـ .

فليقل دعاة المبادىء الديمقراطية والاشتراكية والشيوعية هل يوجد فى مبادئهم مثل هذا ؟ ، وهل سمعوا بمبادىء تخدم الانسانية وتحدب على البشرية مثل مبادىء الاسلام ؟

ألا ما أبعدكم عن الواقع أيها المخدوعون بالسراب عن الحقيقة ، أو الخادعون المأجورون . (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) ..

* * *

(٥)

ان من خصـائص الدين الاسـلامى أنه جامع لسنن السعادتين ، يساير الحياة الاجتماعية والاقتصادية وما يتطلبه الرقى والحضارة ، وانه دين الرحمة والبر والاحسان ، والدأب على العمل • دين اوجب على أتباعه ان يكونوا اغنياء فى كل شىء ، رحماء فى كل زمان ومكان •

لقد وجه الاسلام معظم عنايتـه فى شؤون الافراد والجمـاعات ، ولم يترك سبيلا من السـبل فيـه سعادتهم وهناؤهم ورفاهيتهم الا وحث على اتباعه ، وشدد النكير على المخالفين والمنحرفين •

ولقد حرص الاسلام أشد الحرص على ان لا يحرم المسلم من منابع الثروة العامة، ولم يفسح المجال الى التحكيم بها ، وحرمان الضعفاء والفقراء منها • كل ذلك ليبقى المبدأ العام الذى جاء به وهو تحقيق المساواة والعدالة بين جميع الناس •

ومن جملة ما وصى به الاسلام ضمان سهولة العيش

والحصول على ما سد حاجة جميع الطبقات من الشراب والطعام ، وحارب الاحتكار ومنعه أشد المنع ، وقد جعله من الكبائر ، لان فيه الاضرار بالفقراء قبل غيرهم ، وحرمانهم مما فيه قوام حياتهم ، لذلك قال سيد الرحماء وامام المصلحين، عليه صلوات رب العالمين : من احتكر الطعام أربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه .. وأيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى .. وقال : من احتكر حكرة يريد ان يغلى بها على المسلمين فهو خاطىء ، وقد برئت منه ذمة الله ورسوله .. الجالب مرزوق والمحتكر ملعون .. وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس .. وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بئس العبد المحتكر ، ان أرخص الله الاسعار حزن وان أغلاها فرح .. وعن معقل بن يسار رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يحشر الحاكر وقتلة الانفس فى درجة ، ومن دخل فى شىء من أسعار المسلمين يغليه عليهم كان حقا على الله ان يعذبه فى معظم النار يوم القيامة . ولقد كان علي ابن أبى

طالب رضى الله عنه يدور فى سوق الكوفة بالدرة ويقول : معاشر التجار خذوا الحق تسلموا ، ولا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره .

لقد منع الاسلام الاحتكار والزم الحكومة مراقبة السوق حتى لا يغبن أحد أو يتحكم متحكم فى أسعار السلع . ولقد اجاز الفقهاء لولى الامر أن يستولى على المرافق الهامة حتى لا يتحكم فى المسلمين فئة معينة . واذا رفع الى القاضى حال المحتكر بأمره ببيع ما يفضل عن قوته وعياله ، فان امتنع باع عليه . وليس الاحكام التى تخص المحتكر خاصة بمن يحتكر الطعام بل فى كل ما يضر بالعامة نظرا الى أصل الضرر كما قال الامام أبو يوسف رحمه الله .

واذا خاف الحاكم على أهل مصر الضياع والهلاك أخذ الطعام من المحتكرين وفرقه عليهم فاذا وجدوا ردوا مثله .

وان الامام أبا حنيفة رضوان الله عليه أجاز لولى الامر تحديد الاسعار بمشورة أهل الخبرة لاى سلعة عند حد معين ، لان التحكم فى أقوات الناس فساد يجب القضاء عليه بجميع الوسائل .

وقال ابن حبيب من المالكية : ينبغى للامام عند التسعير

أن يجمع وجوه أهل السوق ويحضر معهم بعض أهـــل البصيرة استظهارا على صدقهم ، فيسألهم كيف يشترون وكيف يبيعون ؟ فينازلهم الى ما فيه لهم وللعامة سداد حتى يرضوا به ، ولا يجبر على التسعير ولكن عن رضى ..
وقال أبو الوليد الباجى : ووجه هذا أنه به يتوصـــل الى معرفة مصالح البائعين والمشترين ، ويجعل للباعة فى ذلك من الربح ما يقوم بهم ، ولا يكون منهم اجحاف بالناس ، واذا سعر عليهم من غير رضى بما لا ربح لهم فيه أدى ذلك الى فساد الأسعار واختفاء الاقوات واتلاف أموال الناس .
وروى اشهب عن الامام مالك فى صاحب السوق بسعر على الجزارين لحم الضأن بكذا ، ولحم الابل بكذا والا خرجوا من السوق ، ويتفقد السوق حتى لا يبيع بأزيد من السعر المحدد ، ومن خالف أمره عاقبه واخرجه من الســـوق .
ونظير هؤلاء الذين يتجرون فى الطعام بالطحن والخبز ، وصاحب الخان والحمام اذا احتاج الناس الى الانتفاع بذلك .

وجاء فى كتاب (أحمد بن حنبل) لابى زهرة : ذكر الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه بان احتكار الطعام وما يحتاج اليه الناس حرام بنص النبى صلى الله عليه وسلم ولا يحتكر الا خاطىء ، أى آثم ، ولولى الامر ان يمنع الاحتكار

لما يترتب على ذلك من مضار الناس ، فله أن يكره المحتكرين على بيع ما عندهم بقيمة المثل عند ضرورة الناس اليه ، مثل من عنده طعام لا يحتاج اليه والناس فى مخمصة ، أو سلاح لا يحتاج اليه والناس يحتاجون اليه فى الجهاد وغير ذلك ، فان من اضطر الى طعام غيره أخذه منه بغير اختياره بقيمة المثل ، ولو امتنع من بيعه الا باكثر من سعره فأخذه منه بما طلب لم يجب عليه الا قيمة المثل .

ومن هذا ترى أن ولى الامر يتدخل لمنع الاحتكار سدا لذريعة الفساد والأذى الذى ينزل بالناس .

ومما أفتى به الامام أحمد معتمدا على هذا الاصل ان من احتاج الى طعام شخص أو شرابه فلم يعطه حتى مات جوعا وجبت عليه الدية ، فكان وجوب الدية مع انه لم يقتل لا عمدا ولا خطأ ولكن كان منعه وسيلة الموت ، فكان كالمتسبب فيه ، فتجب الدية لهذا السبب ، ولسد ذريعة الشر والفساد ، ولبث روح التعاون بين المسلمين .. اهـ .

لقد كانت الحكومات الاسلامية تحارب الاحتكار بأشد ما يمكن من الوسائل ،فعينت محتسبين وظائفهم الطواف بالاسواق والنظر فى غذاء الامة وتوفيره ، واجبار المحتكر على بيع الطعام ، فان امتنع من ذلك عزر وأدب ، ويقال له

بعه كما يبيع الناس .

روى عن فروخ مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه : ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يومئذ أمير المؤمنين خرج الى المسجد فرأى طعاما منثورا فقال : ما هذا الطعام ؟ فقالوا : طعام جلب الينا ، قال : بارك الله فيه وفيمن جلبه ، قيل : يا أمير المؤمنين ، فانه قد احتكر ، قال : ومن احتكره ؟ قالوا : فروخ مولى عثمان وفلان مولى عمر ، فأرسل اليهما فدعاهما فقال : ما حملكما على احتكار طعام المسلمين ؟ قالا : يا أمير المؤمنين نشترى بأموالنا ونبيع ، فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالافلاس أو بالجذام . فقال فروخ عند ذلك : يا أمير المؤمنين ، أعاهد الله أن لا أعود فى طعام أبدا . أما مولى عمر فقال : انما نشترى بأموالنا ونبيع . قال يحيى راوى هذا الحديث : فلقد رأيت مولى عمر مجذوما .

ولقد اقام الخليفة العباسى هارون الرشيد محتسبا وظيفته أن يطوف بالاسواق وينظر معاملات التجار ويمنع الاحتكار الذى كان يأتى من جانب التجار الذين يقبلون على شراء السلع ثم يعملون على بيعها بالثمن أو بالشكل الذى

يتراءى لهم ، ولقد أصدرأوامر تنذر المحتكر بالويل والثبور وأشد العقاب .

وجاء فى كتاب المعجب : ولما انقطعت دعوة بنى أمية بالاندلس ولم يبق من عقبهم من يصلح للامارة ولا من تليق به الرياسة ، استولى على تدبير ملك قرطبة جهور بن محمد بن جهور ويكنى أبا حازم ، وهو قديم الرياسة ، شريف البيت . الى ان قال :

وجعل ما يرتفع من الاموال السلطانية بأيدى رجال رتبهم لذلك ، وهو المشرف عليهم ، وصير أهل الاسواق جندا له ، وجعل أرزاقهم رؤوس أموال تكون بأيديهم محصاة عليهم ، يأخذون ربحها ورؤوس الاموال باقية محفوظة يؤخذون بها ويراعون فى كل وقت كيف حفظهم لها .

وقد ذكر المقريزى فى خططه أن قد أصاب مصر فى أواخر القرن الرابع الهجرى قحط كان سببه نقص ماء النيل ، فارتفعت الاسعار وازدحم الناس على الخبز يطلبونه ويقتتلون من أجله ، فجمع متولى السعر خزانى الغلات والطحانين والخبازين ، وقبض على ما بالساحل من الغلال ، وأمر أن لا تباع الا للطحانين ، وسعر القمح والشعير

وسائر الحبوب والمبيعات ، وضرب جماعة بالسياط وشهر بهم ، وشدد فى ذلك ، وكبست عدة حواصل وفرق ما فيها على الطحانين بالسعر الرسمى .

وقد أمر الحاكم بأمر الله بفرض ما يحتاج اليه الناس على أربات الغلات ، وخيّرهم بين أن يبيعوا بالسعر الذى يقرره بما فيه الفائدة المحتمة لهم ، وبين أن يمتنعوا ، فيختم على غلاتهم ولا يمكنهم من بيع شىء منها الا حين الغلة الجديدة ، فاستجابوا لقوله وأطاعوا أمره وانحل السعر .

ثم وقع غلاء فى أيام الآمر باحكام الله فى القرن الخامس للهجرة ، فختم القائد أبو عبدالله بن فاتك على مخازن الغلات وأحضر أربابها وخيّرهم بين أن يبيعوا على سعر الدولة وبين أن يختم على غلاتهم ، فمن أجاب باع ، ومن رفض ختم على ما عنده ، ونظر فى حاجة السوق وفى المقدار المتيسر الحصول عليه ، وباع ما نقص الى الطحانين بالسعر من غلات ديوان الدولة ، فلما دخلت الغلة الجديدة بيعت الغلة المختوم عليها بسعر قليل ، وأصاب أصحابها خسارة كبيرة .

ووقع غلاء زمن المستنصر فأنذر المستنصر الوالى بقطع

رأســـه ان لم يخفف البلاء ، فذهب الوالى الى السجن وأخرج منه قوما وجب عليهم القتل وأفاض عليهـــم ثيابا واسعة وعمائم مدورة ، وجمع تجار الغلة والخبـــازين والطحانين وعقد مجلسا عظيما ، وأمر باحضار واحد من المسجونين ، فدخل فى هيئته العظيمة ، حتى اذا مثـل بين يدى الوالى قال له : ويلك انك ما كفاك خنت السـلطان واستوليت على مال السلطان ، ومحقت الغلال ، فأدى ذلك الى اختلال الدولة ، وهلاك الرعية ، اضرب يا غلام رقبته، فضربت فى الحال . واستدعى الوالى آخر ، فقام اليــه الحاضرون من التجار والطحانين والخبازين وأصحـــاب الغلات وقالوا : أيها الامير فى بعض ما جرى كفاية ، ونحن نخرج الغلة ، وندير الطواحين ، ونعمر الاسواق بالخبز ، ونرخص الاسعار على الناس ، وبعد ضراعة قبل ما قدموه ووفوا بالشرط .

ولما دخل القائد جوهر الى مصر ، ورأى غلاء الاسعار، وان المحتكرين يتلاعبون بأقوات الفقراء ، أمر بضـــرب جماعة منهم وطيف بهم ، ثم جمع سماسرة الغلات بمكان واحد ، وأمر ألا تباع الغلات الا فى ذلك المكان .

ولما كانت سلطنة كتبغا وقع غلاء ، فأمر بمصادرة الغلال

من أيدى المحتكرين ، ثم أمر بجمع الفقراء وذوى الحاجات وفرقهم على الامراء وألزمهم باعاشتهم . وكان للامير فخرالدين الطنيغا المساعى مائة فدان زرعت باقلاء ، فأمر بعدم منع أحد من الاكل منها فى موضع الزرع ، فلم يبق منها الا القشور .

ووقع غلاء فى مصر سنة ٥٩١ هجرية فوقف القائد العظيم حسام‌الدين لؤلؤ منه موقف المواسى ، فلقد ابتكر مكرمة لم يسبق اليها ، وذلك انه كان يخبز فى كل ليلة اثنى عشر ألف رغيف ، فاذا أصبح جلس على باب الموضع الذى فيه حشر الفقراء ، فما زال قاعدا حتى يفرق الالوف على الالوف .

لقد كان الاحتكار مذموما لدى جميع المسلمين ، ولا ينظرون للمحتكر الا باحتقار وازدراء .

لقد كانت هذه البلاد العراقية قبل استيلاء الجشع والطمع على النفوس ترفل فى بحبوحة من العيش الرغيد، لا فرق بين فقيرها وغنيها ، وأميرها وصعلوكها ، فكانت كلفة اعاشة العائلة المتوسطة لا تتجاوز بضع دراهم ان لم نقل بضع فلوس ، ولقد كان الناس هنا لا يفكرون فى الاكل والشرب لانه متوفر وبأبخس الاثمان ، لذلك

انصرف التفكير الى النواحي الوطنية واستكمال حرية البلاد وأبنائها وتحطيم هياكل الاجنبى ، وهـذا ما لا يرضاه المستعمرون وأذنابهم ، فأثاروا غرائز الطمع والجشع والاستغلال فى نفوس الشرار من الناس ، فصاروا يضعون أيديهم على الاقوات والضروريات ، فأرسلوا القسم الكبير منها الى خارج العراق واحتكروا القسم الآخر ، فارتفعت أسعار الحاجيات المعيشية ، ووصلت الى حد لم يسمع به العراقيون من قبل ، وانصرف الناس بكليتهم الى التفكير بالخبز واللحم والتمن والدهن ، وهكذا اشتغل الناس بحاجة البطون وتركوا حاجة الاوطان .

لا ندرى ما هى وظائف الحكومات فى الخدمة العامة ، ولم تؤسس الا لها ، اذا كان أفراد معدودون يتصرفون بأقوات الشعب ويتركونه حائرا يشكو جوعته ، لا يدرى كيف يحصل على الخبز وقد ارتفعت أسعار الوزنة منه الى ما يعادل أسعار خمس عشرة وزنة من قبل . وكأنهم لم يعلموا بأن البطن اذا جاعت بطلت حكمة الحكماء ، وقل اليقين وضعف الدين . ولقد حذر سيد الحكماء وامام المرشدين والمصلحين الامة مغبة الفقر والفاقة فقال : كاد الفقر أن يكون كفرا . وقال أبو ذر الغفارى : عجبت لمن

لا يجد القوت فى بيته كيف لا يخرج على الناس شاهرا سيفه • وقال علي بن أبى طالب : لو تمثل لي الفقر رجلا لقتلته ، وذلك بعد أن سمع رسول الله يقول : اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر •

لا ندرى هل يظن المحتكر أنه بعمله هذا يزيد فى رزقه ؟ كلا ، ثم كلا ، بل يمحقه الله ويذهب بركته ، وما جمعه فى هذا السبيل يهلكه الله دفعة واحدة ، وما يدرى المحتكر المسكين أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا ، وأن فوائد أموال الدنيا تنقضى بانقضاء العمر ، وتبقى مظالمها وأوزارها ، فكيف يرضى العاقل أن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير •

يا عدو نفسه واخوته ، ويا جلاد الفقراء والمحتاجين ، ويا فاسد الدنيا والدين ، هل تعتقد انك باحتكارك تجنى الأموال الطائلة ، وتحصل على الغنى العاجل ، لقد خسرت وما دريت •

انى لأذكر لك أحد التجار الذين كان يضرب بغناهم الامثال ، وكيف أنه جمع هذه الثروة •

كان عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه من أغنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم • ولقد دخل رضى

الله عنه على أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها ، فقال لها : يا أماه ، قد خفت أن تهلكنى كثرة المال ، فقالت له : يا بني أنفق . ولقد تصدق في يوم واحد بأربعين ألف دينـــار وتسعين ألف درهم ، ثم حمـــل على خمســـمائة فرس وخمسمائة راحلة فى سبيل الله . وقدمت له سبعمائة راحلة تحمل البر والدقيق والطعام ، فلما دخلت المدينة سمع أهلها رجّة ، فقالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : ما هـــذه الرجّة ؟ فقيل لها : عير قدمت لعبدالرحمن بن عوف هى سبعمائة بعير تحمل البر والدقيق والطعام ، فقالت عائشة : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : يدخل عبدالرحمن بن عوف الجنة حبواً . فلمـــا بلغ ذلك عبدالرحمن قال لعائشة : يا أماه ، انى أشهدك انها بأحمالها وأحلاســـها وأقتابها فى سبيل الله عز وجل . وأوصى رضوان الله عليه بخمسين ألف دينار فى سبيل الله . وأوصى لمن بقى ممن شهد بدراً لكل رجل أربعمائة دينار وكانوا مائة فأخذوها . وأوصى بألف فرس فى سبيل الله ، وأوصى بحديقة لأمهات المؤمنين بيعت بأربعمائة ألف درهم . ولقد صولحت بعـــد وفاته احدى زوجاته على ربع الثمن بثمانين ألف درهم .

لقد هاجر هذا الغني من مكة الى المدينة وما يملك من

قطمير ، ولكنه اشتغل بالتجارة بصدق واخلاص ومروءة ، فحصل على هذا الثراء العريض •

اسمعوا أيها التجار ، ويا أيها المحتكرون ما قاله هذا التاجر رضوان الله عليه عندما سئل عن سبب يساره ، قال : ما رددت ربحا قط ، ولا طلب مني حيوان فأخرت بيعه ، ولا بعت نسيئة •

قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله عبداً سمحاً اذا اشترى ، سمحاً اذا قضى ، سمحاً اذا اقتضى •

* * *

(٦)

لقد وجه الاسلام أكبر العناية والاهتمام الى مؤاساة الاغنياء للفقراء والاخذ بعضدهم فى أمور معاشهم ، ورغب فى ذلك أقوى الترغيب ، بل انه قد أوجبه وحتمه على معتنقيه . اذ أن الاسلام قد بنى أحكامه كلها على تأليف القلوب ، وتوحيد الصفوف ، وجمع الكلمة ، وعمل فى سبيل ذلك بكل الوسائل ، لئلا تنفصم عرى وحدة الامة ، وحينئذ يحل الهلاك والدمار .

ومن جملة ما وصى به الاسلام لاغاثة المكروب ومساعدة المحتاجين ومعونة الفقراء والمعوزين هو الاستقراض ، بأن يدفع شخص لآخر عيناً معلومة من الاعيان المثلية التى تستهلك بالانتفاع بها ليرد مثلها .

والقرض اسم لكل ما يلتمس عليه الجزاء ، وفيه عظيم الثواب ، لانه توسعة على المسلم وتفريج عنه . قال سبحانه وتعالى فى الحث على ذلك : (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط واليه

ترجعون) • وقال تبارك وتعالى : (وافرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجرا) • وقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت ليلة أسرى بي على باب الجنة مكتوباً الصدقة بعشر أمثالها ، والقرض بثمانية عشر ، فقلت لجبريل : ما بال القرض أفضل من الصدقة ؟ قال : لأن السائل يسأل وعنده ، والمستقرض لا يستقرض الا من حاجته • وقال صلوات الله وسلامه عليه : من نفّس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه •

فالمرء لا يستقرض الا عن حاجة وفاقة ، ولا يفاتح المقرض الا بعد أن يصبح الفضاء فى عينه أضيق من سم الخياط • فاذا أسلفه فكأنما انتشله من نار تلظى وكأنما منحه حياة جديدة •

لقد علم الاسلام أمته بهذه الطريقة أن يسعف القادر العاجز ، وأن يبسط الغني يده للفقير ، وأن يعين المتمول المحتاجين والمعوزين • وان فى القرض تيسير الامور على من تعسرت عليه ، وتفريج الكروب عمن نزلت به ، ومد القادرين أيديهم للأخذ بأيدى العاجزين ، وتوسيع

الموسرين بأموالهم على من ضاقت عليهم حياتهم .

ان الاحتياج فى الناس سجال ، والدهر بالناس قلب ، فربما أصبح من طلب منه الاستقراض فى عسر بعد يسر ، واحتياج الى من يقرضه ، فاذا أسلف صالحة فى القرض وجد من يعطف عليه ، ومن يمد اليه يد المساعدة .

كان سليمان بن أُذنان يقرض علقمة ألف درهم الى عطائه ، فلما خرج عطاؤه تقاضاه منه واشتد عليه فقضاه ، ثم أتاه بعد مدة وطلب قرضه ألف درهم، فقال له سليمان : نعم وكرامة ، يا أم عتبة هلمى تلك الخريطة المختومة التى عندك ، فجاءت بها ، ثم قال لعتبة : أما والله انها لدراهمك التى قضيتنى ما حركت منها درهماً واحداً . قال له عتبة : فلله أبوك ما حملك على ما فعلت بي من الاشتداد فى الطلب ؟ قال سليمان : ما سمعت منك . قال عتبة : وما سمعت منى ؟ قال سليمان : سمعتك تذكر عن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما من مسلم يقرض مسلما قرضا مرتين الا كان لصدقتها مرة .

ولقد حث الاسلام على امهال المدين فى حالة الاعسار الى وقت اليسار . قال تبارك وتعالى : (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) . وقال رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة

والتسليم : من أنظر معسرا كان له بكل يوم صدقة .. من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه . وقال صلوات الله وسلامه عليه : حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء الا أنه كان يخالط الناس وكان موسرا فكان يأمر غلمانه أن يجاوزوا عن المعسر .

كما أوجب على المستقرض أن يعمل لاداء حق المقرض وأن يجهد فى ذلك ، وأن يعزم على الاداء والوفاء ، فالنية الصالحة لها أثرها فى كسب المال والهداية لسبله ، ولئلا يقطع سبل الخير . ولقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد اتلافها أتلفه الله .

ولكى يكون العمل خالصا لله بعيدا عن الاطماع منع هدية المستقرض للمقرض ، وحرم على المقرض قبولها ، الا أن يكون عادتهما ذلك ، روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا أقرض أحدكم أخاه قرضا فأهدى له أو حمله على دابة فلا يقبلها ولا يركبها الا أن يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك .

ثم يجب على المقرض أن يجمل بالطلب لاستيفاء ماله ، ولا يشتد فى المطالبة . كما يجب على المستقرض أن يقابله بحلم وانصاف . روى أن النبى صلى الله عليه وسلم اقترض من اعرابى بعيرا ، فلما حل أجـــل الاداء جاء الاعرابى يتقاضاه فأغلظ ، فهم به أصحابه ، فقال عليــه الصــلاة والسلام : دعوه فان لصاحب الحق مقالا ، ثم قال : اعطوه سنا مثل سنه ، قالوا : يا رسول الله لا نجد الا أمثل من سنه ، فقال : اعطوه فان خيركم أحسنكم قضاء . وروى انه جاء يهودى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقاضاه دينـا ، فجذب رسول الله من ثوبه وأغلظ فى القول وقال : يا بنى عبدالمطلب أنتم قوم مطل . فاغتاظ عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهم باليهودى فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمر وهو يبتسم وقال : هناك ما هو خير من ذلك يا عمر ، ادعنى الى حسن الاداء ، ومره بحسن المطالبة . فأطرق اليهودى ثم رفع رأسه وقال : يا رسول الله ، لقد عرفتك نبياً بتطبيق البشائر عليك ، ولكن لم أر تطبيق الحكم عمليا ، وها أنا قد رأيته ، وأنا أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله . ثم قضى دينه وطيب خاطره .

لقد كان سلف هذه الامة من أحرص الناس على ابداء

المعونة لاخوانهم ، لذلك فان المضطر منهم لا يلبث أن يجاب ، وان المعسر لا يعدم من يسارع الى التيسير عليه ، وان من نزل به أمر من حوادث الدهر لا يتركه اخوانه المسلمون فريسة لما نزل به من الكوارث ، بل كانوا يرون أن ما يصيب أخاهم المسلم من خير أو شر، فلهم منه قسط ٠

ولكن خلف من بعدهم خلف زعموا أن البخل بالمال حزم محمود ، وان قبض اليد عن سد حاجة المحتاجين أمر لا تثريب عليهم فيه ، لقد كان شحهم بأموالهم أن يبسطوها لاعانة اخوانهم مدعاة لارتكاب ما حرمه الله ، فوقعوا فى الربا وقد نهوا عنه ، وولوا وجوههم شطر المرابين ، ظانين أنهم سيأخذون بأيديهم ، وينقذونهم مما وقعوا فيه من الفقر ، ولكنهم ما عتمّوا حتى أظلمت عليهم مسالكهم ، وأمسى الواحد الذى أخذوه عشرة ، كما أمست العشرة مائة ٠ وكانت عاقبة أكلهم الربا أن سلبهم ما كان فى أيديهم ، وأصبحوا أذلاء مستجدين ، وكان مثل أعمالهم (كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد) ٠

★ ★ ★

(٧)

ان من خصائص الدين الاسلامى أنه جامع لسنن السعادتين ، وهو يساير الحياة الاجتماعية والاقتصادية وما يتطلبه الرقى والحضارة .

ان الدين الاسلامى هو دين الرحمة والبر والاحسان والدأب على العمل ، وان يكون المسلم غنيا فى كل شىء ، يتطلب الغنى من وجهه الحلال المشروع . وقد ورد فى الحديث : نعما المال الصالح للمرء الصالح . خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى .

ولكن ويا للأسف قد تسرب الى الناس الجشع وحب المال ، بصرف النظر عن الحلال والحرام . ومن أشد ذلك تعامل الناس بالربا ، واعتباره أساسا للمعاملات المالية والتجارية .

لننظر الى نتائج الربا فى الهيئة الاجتماعية وما توعد به الله تعالى المرابين بالحرب فى الدنيا والعذاب فى الآخرة .

ان أكثر الاضطرابات والحروب التى تقاسيها الامم

والحكومات انما منشؤها الطمع والجشع ، واستغلال بعض أصحاب رؤوس الاموال وأكثريتهم من اليهود للطبقات الضعيفة ومطالبة هذه الطبقات برفع الحيف عنها وهى الآن من أكبر المشاكل الاجتماعية والاقتصـــادية تبدو مخيفة رهيبة ، وذلك تصديقا لقول الله تبارك وتعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) . فهل نسير وراء أوربا حتى نذهب معها الى الهاوية السحيقة التى تنتظرها ، اذ لا تنتهى من حرب الا لتستعد الى حرب أخرى أم نعتبر بتجارب الغير فنأخذ المفيد ونتحاشا الضـار ، ونرجع الى تعاليم ديننا التى تقف وسطا بين الرأسمالية والشيوعية ، ونحرم الربا تحريما باتا كما حرمه ديننا ، ونضرب على يد المتعاملين به حتى نحافظ على البقية الباقية من ثروة البلاد .

ان الربا من الكبائر التى شدد الاسلام النكير عليها ، ووعد فاعليها بالويل والثبور ، وهل أعظم ممن يتوعدهم الله تعالى بحرب يعلنها هو ورسوله عليهم ولا يوجد انذار ووعيد أعظم من هذا ، وهل ينتصر من يحاربه الله ورسوله ؟ ولقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسـلم : لعن الله

الربا وآكله وموكله وكاتبه وشاهده ، وقال صلوات الله وسلامه عليه : ان الربا وان كثر فعاقبته الى قل : (يمحق الله الربا ويربى الصدقات) . وعن عبدالله بن حنظلة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : لدرهم ربا أشد عند الله من ست وثلاثين زنية فى الخطيئة ، وقال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما : من كان مقيما على الربا لا ينزع عنه فحق على امام المسلمين أن يستتيبه ، فان نزع والا ضرب عنقه . وعن سفيان الثورى رضى الله عنه : من قال انما البيع مثل الربا فقد كفر . وقال قتادة : أوعد الله أهل الربا بالقتل فجعلهم بهرجاً (أى مباحا) أينما ثقفوا ، ذلك تفسيراً لقول الله تبارك وتعالى (فان لم يفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) . وقال خويز منداد : ولو ان أهل بلد اصطلحوا على الربا استحلالا كانوا مرتدين ، والحكم فيهم كالحكم فى أهل الردة ، وان لم يكن ذلك منهم استحلالا جاز للامام محاربتهم .

وقد نص الفقهاء على محاربة المرابى كالباغى حتى يفىء الى أمر الله ، فان لم يتب يحبس ويعزر . قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت الليلة رجلين أتيانى فاخرجانى الى أرض مقدسة ، فانطلقا حتى أتينا على نهر من دم فيه

رجل قائم ، وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة ، فاقبل الرجل الذى فى النهر ، فاذا أراد ان يخرج رماه الرجل ـ الذى على الشط ـ بحجر فى فمه فرده حيث كان ، فجعل كلما أراد ان يخرج رمى فى فمه بحجر فيرجع كما كان ، فقلت : ما هذا الذى رأيته فى النهر ؟ قال : آكل الربا فهذه الدماء التى يسبح فيها انما هى دماء الفقراء المحتاجين التى امتصها فى الحياة .

ولقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العهود والمواثيق على اليهود القاطنين بجزيرة العرب الا يتخذوا الربا سببا لتكسبهم ، واشترط اقامتهم بتلك الجزيرة على الوفاء بعهودهم . ولما نقضوها أجلاهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن الجزيرة العربية .

ان التعامل بالربا يقتضى أخذ المرء مال غيره بدون عوض وأنه يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب التى يعود نفعها عليهم وعلى المجتمع ، لان رب المال اذا تمكن بعقد الربا من زيادة ماله خف عليه الكسب فيترك الاشتغال بالتجارة وغيرها من المكاسب ، وفى هذا حبس للاموال من الارفاه الادبى ، وحرمان للفقراء عما خصص لعونهم وسد عوزهم ، كما أنه يحرم الفقراء العاملين من مجهوداتهم ، ليتنعم بها

المرابون ، فيتسبب من ذلك وقوع العداوة والبغضاء بين الطرفين ، وهذا ما يضر بالهيئة الاجتماعية ، ثم أنه بعد ذلك يفضى الى انقطاع المعروف والاحسان بين الناس .

ان الربا يصير المرابى كذئب ضارى وسبع فاتك لايعرف للشفقة مسمى ولا للرحمة مدلولا ، اذ استولى الجشع على مشاعرهم ، حتى جعل الواحد منهم لا يبذل درهما من ماله ما لم يتناول ربحا محسوساً معجلا .

ايها المرابون : استمعوا الى كتاب الله تبارك وتعالى كيف يصف ربحكم ففيه العبرة والعظة : (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم) .

وقد قال الاستاذ محمد أبو زهرة عند تفسيره لهذه الآية ما ملخصه :ـ

وقد ابتدأ سبحانه فى بيان حقيقة الربا وحكمه ببيان أثره فى نفس المرابى ، ليعلم كل انسان أن أثره شر فى

نفس صاحبه ، وان أول من يناله الضر هو المرابى نفسه فهو بمقدار ما يكثر من مال يكثر من الهموم ولذا قال سبحانه : (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) ، فهذه الجملة السامية تصوير لحال المرابى ، واضطراب نفسه ، وقلقه فى حياته ، فهو كالشخص الذى أصيب بجنون واضطراب، فالمرابون لا يقومون ولا يتحركون الا وهم المال قد استولى على نفوسهم والخوف عليه من الضياع قد أوجد قلقا نفسيا فى عامة أحوالهم ، فهم كالمتخبط بسبب ما مسه الشيطان • ثم قال :

ولا عجب فى ان تكون تلك حالهم فى الدنيا ، فالربويون أكثر الناس تعرضا للازمات القلبية ، كما يعرضون الجماعات للازمات الاقتصادية ، ولقد قرر الاطباء ان نسبة ضغط الدم ، وتصلب الشرايين ، والشلل ، والذبحة الصدرية عند الربويين أضعافها عند غيرهم ، وما علمت ربويا مات الا سبقه الشلل أو أخواته قبل ان يجيء اليه الموت ليستقبل نار جهنم • اهـ

وذكر جمهور المفسرين على ان المرابين يبعثون يوم القيامة مخبلين تثقلهم سيئاتهم فيتخبطون كالمصروعين وهى علاماتهم الفارقة فى المحشر •

لقد ذكر العلماء عند تفسير قوله تعالى (يمحق الله الربا) أن المراد بالمحق هنا هو مايلاقى المرابى من عداوة المحتاجين ، وبغض المعوزين ، وقد تفضى هذه العداوة والبغضاء الى الاعتداء على الانفس والاموال والثمرات .. ولقد وقعت حوادث من هذا القبيل بكثرة فى العراق كان ضحيتها المرابون وأموالهم .

وقال المراغى فى تفسيره : ان الربا يمحق ما يطلب الناس بزيادة المال من اللذة وبسطة العيش والجاه والمكانة ، ويصل بصاحبه الى عكس هذه النتيجة من الهموم والاحزان والحب الشديد للمال ، ومقت الناس له ، وكراهتهم اياه ، وبذا لم يصل الى ثمرة المال المقصودة فى هذه الحياة ، وهى ان يكون ناعم البال ، عزيزا شريفا عند الناس ، لكونه مصدر الخير لهم ، كما يكون محروما فى الآخرة من ثواب المال ، فهو حينئذ قد فقد الانتفاع بماله ، فكان كمن محق ماله وهلك .. اهـ .

ان من شؤم الربا أنه ما فشا فى قوم الا فشا معه الشح والبخل والتقتير ، نزعت البركة من الارزاق والاموال والاعمار ، وسلط الله عليهم الآفات المتنوعة فى التجارة والزراعة والصناعة .

كان المسلمون الى قريب من الزمن ينظرون الى من يتعامل بالربا نظر البغض والمقت والازدراء ، أما اليوم فيحترم المرابون ويخشى سلطانهم ، لان المفاهيم قد تغيرت ، حيث أصبح الناس ينظرون الى المادة نظر العبادة والتقديس من أى طريق كانت .

لقد كان اسلافنا يتورعون عن الانتفاع حتى بظل حائط المدين، ويخشون ان يكون ذلك نفعا جره دينهم ، فأين هذا من هؤلاء الذين لا تسمح نفوسهم بفلس يقرضونه الا بعد اشتراط فائدة معينة ، ولا تمضى مدة حتى يبلغ الدرهم دينارا ، والدينار دنانير ان لم يبادر المدين بالسداد .

لقد كنت فى يوم من الايام عند أحد المحامين فأتاه أحد الزبائن واخبره بأنه قد استدان من فلان الفين وخمسمائة دينار على ان يكون فائضها مائة دينار فى الشهر فاستغربت من هذا ، فقال لى المحامى لا تستغرب لان فائض الدينار الشهرى خمسون فلسا فيكون الفائض السنوى ستمائة فلس ، وهذا ما يجرى التعامل عليه بين المرابين .

لم يحرم الاسلام الربا الا بعد ان حث على القرض وحببه بين الناس ، وان مات المدين فيؤخذ الدين من تركته فان لم يخلف شيئا فولى الامر هو الكافل . ولقد قال

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : انا اولى بكل مسلم ومسلمة ، فمن ترك مالا فلورثته ومن ترك دينا أو ضياعا (أى أولادا) فليأتنى ٠

ولقد جعل الاسلام من مصاريف الزكاة فى بيت المال سداد ديون المعوزين قال تبارك وتعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وأبن السبيل) ٠ والغارمين هم المدينون المعوزون ٠

فلو جمعت أموال هؤلاء المرابين وتأسست بها شركة تجارية تعمل لخير البلاد ، وتعين بقسم من ارباحها المسكين والفقير وذا الحاجة ٠ وكم تكون الامة سعيدة اذا أعانت هذه الشركة ذا الحاجة بطريق القرض الحسن الى حين اليسار بشروط موافقة للشريعة الاسلامية لتضمن عدم ضياع المبلغ المقرض ٠

كم تكون الامة سعيدة لو جمعت هذه الاموال المودعة فى البنوك وعملت بها مصانع على أختلاف أنواعها ، وعندئذ تشعر الامة بالسعادة عندما تلبس مما تصنعه أيديها ، وتأكل مما تنتجه مزارعها ، وتحمل السلاح الذى تخرجه معاملها وتركب الوسائط التى عملت فى بلادها بأيدى ابنائها ،

فتستفيد الامة والحكومة وأصحاب الاموال والعمال والفقراء ، وفى ذلك السعادة والهناء ، والعزة والرخاء •

ان الربا هو بعض ما جر على البلاد الاسلامية مصائب الاستعمار ، لانه يبدأ أكثر أمره بطائفة من المرابين أفرادا وشركات ينزلون بلدا من البلاد ، يقرضون أهله أموالهم ثم يتغلغلون حتى يصلوا الى وضع أيديهم على منابع الثروة ، ثم يتحكمون برقاب الناس •

حولوا انظاركم قليلا الى دوائر الطابو وكتاب العدل والبنوك الحديثة لتعلموا فداحة ما أصيبت به هذه البلاد من ويلات الربا ، انظروا كم خرب الربا بيوتا كانت عامرة وكم أصبحت عائلات عريقة فى المجد راسفة فى اصفاد الفقر والفاقة ، بعد أن كانت راتعة فى بحبوحة من العز والكرامة •

فالربا مصدر الشرور ، ورأس الفتن ، وجسر الاستعمار وصرح الرأسمالية ، ومولد الاقطاعية ، وأس الارتباك المالى والاقتصادى ، وسنام الفقر والفاقة ، ومدرسة لتدريب السراق والمحتالين • ولقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا ظهر الزنا والربا فى قرية فقد احلوا بأنفسهم عذاب الله •

ايها المرابون : لئن ضحكت لـكم الدنيا أياما وسنين استهزاء بـكم واستدراجا لـكم ، ولسوف تـكشر لـكم الدنيا عن أنيـابها وتلتهمـكم التهاما ، وتسلب ما كنزتموه لاولادكم واحفادكم استلابا : (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم يعلمون) .

* * *

(٨)

لقد اصطلح الجمهور المسلم في العراق ان يجعلوا شهر رجب الاصم من كل سنة وقتا مناسبا لاخراج زكاة أموالهم ولعلهم في تعيينهم هذا الشهر لاخراج الزكاة تابعون لما كان يجرى فى صدر الاسلام • فقد ذكر الامام مالك بن انس فى موطئه والبيهقى فى مسنده ان عثمان بن عفان رضى الله عنه وقف خطيبا على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رجب الاصم فقال : هذا شهر زكاتكم ، فمن كان عليه دين فليؤد دينه حتى تحصل أموالكم فتؤدون منها الزكاة •

لقد جعل الاسلام اتباعه فى هذه الدنيا أبناء أسرة واحدة ، وأبان لهم اقتضاء حكمة الله بأن يتفاوت الناس فى العلم والعرفان ، وفى الملك والسلطان ، وفى الصحة والمرض وفى المبدأ والغرض ، وفى الغنى والفقر ، وفى الشقاء والسعادة ، وفى العبودية والسيادة • قال تبارك وتعالى فى كتابه المجيد (وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع

بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم) • وقال تعالى : (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر مايشاء انه بعباده خبير بصير) • وقال سبحانه وتعالى (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق ، فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون) •

لقد جعل الله سبحانه وتعالى المال زينة الحياة الدنيا ، يصان به العرض ، ويؤدى به الغرض ، يكون وسيلة لانقاذ المحتاجين ، وتخفيف المتاعب من المكلومين ، وقد استخلف الله فى المال بعض عباده ليؤدوا حقوقه ، ويشكروا فيه نعمة ربهم عليهم ، فيواسون الفقراء ، ويخرجون بالصدقات أسباب الاحن من القلوب ، فلا يتغالى غالب على مغلوب ، ولا يتسامى ثرى على مسلوب ، ولا يتألم محتاج ولا ييأس مكروب •

يدعو الاسلام الى مبدأ التضامن الاجتماعى ، فينادى بأن فى أموال الاغنياء حقا معلوما للسائل والمحروم ، ويحذر أرباب الثراء فى الاسراف فى الترف ، والتفانى فى الفسوق والتطاول بالعرض الزائل والزخرف الباطل ، ويحض على التضحية بالمال تخفيفا لآلام البؤساء ، وترفيهـا عن ذوى

الحاجات ، وقضاء على الضغائن والحزازات وبثا لروح التوادد والتراحم بين أفراد الامة ، حتى تصير كاسرة واحدة .

فرضت الزكاة فى شوال من السنة الثانية من الهجرة ، وذلك لغرس حب الخير فى النفوس ، وقتل الحقد والحسد ، وحماية الاغنياء من خطر الفاقة وشر المسغبة التى اذا ما هاج ثائرها لا تبقى ولا تذر ، وللقضاء على ما يهدد المجتمع الانسانى بالخراب والدمار . قال تبارك وتعالى ترغيبا فى الزكاة (ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) . ولقد وعد الله المزكين برضاه وهوأعظم مقاملديه سبحانه وتعالى(وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) .

فرض الله تبارك وتعالى الزكاة وجعلها احدى دعائم الايمان ،فرضها فى النقد والذهب والفضة والحبوب والثمار وسلع التجارة وفى الحيوان ، وفى الديون الثابتة فى الذمم والممكن خلاصها . وشرط لهـــذه كلها شروطا وقواعد وأنصبة ضمن فيها حق الغنى والفقير معا ، حتى لايكون فيها حرج على أحد ، ولا اعنات لاحد . روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قام فى الناس فقال : يا ايها الناس

انه قد أتانى آت فقال لى يا محمد ، لا صلاة لمن لا زكاة له ، ولا زكاة لمن لا صلاة له ، مانع الزكاة فى النار ، والمعتدى عليها كمانعها .

ولقد أجمع العلماء على ان من جحد فرضية الزكاة فهو كافر يستتاب ، فان تاب والا قتل كالمرتد ، ومن أقر بها ومنعها فانه يضرب وتؤخذ منه كرها ، الا ان يمنع فى جماعة ويدفع بقوة ، فانهم يقاتلون عليها حتى تؤخذ منهم كما فعل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه بأهل الردة حين شحوا بأداء الزكاة . وقد ورد فى الصحاح : انه لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب صمم أبو بكر على مقاتلتهم حتى يرجعوا الى الاسلام وينفذوا تعاليمه نصا وروحا ، لان تعاليم الاسلام لاتتجزأ ، بل يجب الايمان بنصوصها ، والعمل بمجموعها ، ومن أخل بواحدة منها فقد أخل بها جميعا ، فالزكاة رديفة للصلاة والصوم والحج ولايمكن انتفارق احداها الاخريات هذا هو الاسلام الذى فهمه أصحاب رسول الله وعلى رأسهم شيخ المؤمنين ، وأول الخلفاء الراشدين ، أبو بكر الصديق رضوان الله عليه .

وقد أراد فاروق الاسلام عمر بن الخطاب رضى الله

عنه ان يستفهم من الصديق مشروعية قتال هؤلاء فقال له :
كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فمن قالها
فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله ، فقال
أبو بكر : والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان
الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها ، قال عمر :
فوالله ما هو الا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبى
بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق .

الزكاة رديفة للصلاة التى هى اشرف العبادات الجسمانية
فى أثنين وثلاثين موضعا من القرآن ، تنبيها على انها قسيمتها
فى الاصلاح ، فكما ان الصلاة كافلة بتحرير النفس من
العبودية والاستخذاء لغير الله ، كذلك الزكاة ، اذ جعلها
الله سبحانه وتعالى مفتاحا للخيرات والبركات ، والوقاية من
الشح الذى يدعو الى البخل وينهى عن البذل . قال علي
بن أبى طالب رضى الله عنه : المسكين رسول الله الى الغنى
ليمتحنه ، فان أعطاه فقد أعطى الله وان منعه فقد منع الله .

ولقد انذر الله سبحانه وتعالى كانزى المال ولا يوأ دون
حق الله منه بأشد العذاب وأقساه : (والذين يكنزون الذهب

والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم .
يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم
وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون).

ان تكون الثروة هو من الافعال الاختيارية المنوطة
بارادة الانسان ، وهى لم تأت عفوا من تلقاء نفسها ، بل
تتكون من العمل المستمر والجهود الجبارة ، فينبغى حينئذ
أن يكون لموجد الثروة ومكونها أكبر نصيب منها . ولما كان
انحصار المال واحتكاره من أعظم الاسباب فى انحطاط
المجتمع وانهياره جعل الاسلام الثروة الفردية رأس مال
أجتماعى حول جزءا منه الى رأس مال عام خصص للصالح
العام ودفع الاحتياجات الضرورية .

« والزكاة[١] حق الجماعة فى عنق الفرد لتكفل
لطوائف منا كفايتهم احيانا ، وشيئا من المتاع بعد الكفاف
أحيانا ، وبذلك يحقق الاسلام جزءا من مبدئه العام (كى
لا يكون دولة بين الاغنياء منكم) ذلك أن الاسلام يكره
للناس الفقر والحاجة ويحتم أن ينال كل فرد كفايته من
جهده الخاص حين يستطيع ، ومن مال الجماعة حين يعجز
بسبب من الاسباب » .

---

(١) العدالة الاجتماعية فى الاسلام .

« ويكره الاسلام ان تكون فوارق الطبقات بين الامة بحيث تعيش منها جماعة فى مستوى الترف ، وتعيش جماعة أخرى فى مستوى الشظف ، ثم ان تتجاوز الشظف الى الحرمان والجواع والعرى ، فهذه أمة غير مسلمة ، والرسول يقول : ما آمن بى من بات شبعان وجاره جوعان وهو يعلم . أو يقول : لايؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه . يكره الاسلام هذه الفوارق لما وراءها من أحقاد واضغان تحطم أركان المجتمع ، ولما فيها من أثرة وجشع وقسوة تفسد النفس والضمير ، ولما فيها من اضطرار المحتاجين اما الى السرقة والغصب ، واما الى الذل وبيع الشرف والكرامة ، وكلها منحدرات يتجافى الاسلام بالجماعة عنها . لهذه المعانى جميعها شرع الزكاة وجعلها فريضة فى المال يجعل الواجدين جميعا يشتركون فى ادائها » .

لقد كان البذل والسخاء من أقوى الظواهر فى أخلاق سلفنا ، فكان أحدهم لا يبالى أن يشاطر أخاه ماله وجاهه لانهم قد علموا أن ذلك من متممات الايمان ، ولانهم قد اتعظوا بقول رسول الله حيث يقول : لما خلق الله تعالى الايمان ، قال : الهى قونى ، فقواه بحسن الخلق والسخاء ، ثم خلق الكفر ، فقال : الهى قونى ، فقواه بالبخل ، ثم خلق

الجنة ، ثم قال : يا ملائكتي السخي قريب مني قريب من ملائكتي ، قريب من جنتي بعيد من النار .

لقد كان سلفنا رضوان الله عليهم لا يكتفون بالزكاة وحدها ، بل يردفونها بالهبات والصدقات والاحسان والمبرات ، كانوا يتلذذون باغاثة السائل والمحروم ، واعانة البؤساء وذوى الحاجات ، لانهم قد تفهموا قول رسول الله عندما سأله أحد الاصحاب : أى الناس أحب اليك ؟ قال : أنفع الناس للناس ، قيل : يا رسول الله فأى الاعمال افضل ؟ قال : ادخال السرور على المؤمن ، قيل : وما سرور المؤمن ؟ قال : اشباع جوعته ، وتنفيس كربته ، وقضاء دينه .

لقد علمنا أنه توجد ودائع فى البنوك تبلغ أكثر من عشرين مليونا من الدنانير فكم تكون زكاتها ، وكم تستفيد الامة منها ، ولا سيما فى هذه الظروف التى تجتازها البلاد ، والتى هى فى أشد الحاجة الى المال . ان الشارع قد الزم الحكومة الاسلامية على أخذ زكاة الاموال لتصرفها على ادارة شؤون الجيش ومساعدة الطبقات الفقيرة .

لقد سنت بعض الحكومات الاسلامية قانونا دعته قانون الزكاة يشمل كل من يسكن تلك البلاد من الاقوام والاديان لتقاوم بذلك الفقر والجهل والمرض .

فما اجدرنا بسن مثل هذا القانون ، اذ بذلك وحده تحصل الامة على النزر اليسير من هذه الثروات التى لم يعرف عن أصحابها أنهم صرفوا فلسا واحدا منها فى سبيل الخير والخدمة العامة .

ان الشرع الاسلامى قد أباح للهيئة الحاكمة الاستيلاء على جميع ما بحوزة الافراد والجماعات من مال ومتـاع ليصرف على الجيش لا سيما زمن الحرب لادامتـه ونوال النصر .

* * *

(٩)

جاء الاسلام ليفى حاجات الناس جميعا فى دينهم ودنياهم ، وليقضى على أسباب الشر والفساد ، وينشر الطمأنينة والرضا فى النفوس ، وليعيش الاغنياء والفقراء تحت كنفه فى خير وهناء ، وأخوة وصفاء . روى الامام مسلم فى مسنده عن جرير بن عبدالله : أن قوما من مضر أقبلوا على الرسول صلى الله عليه وسلم فى صدر يوم من الايام ، وقد بدت عليهم امارات الفقر والفاقة ، يضعون على أجسادهم قطعا لا تكاد تسترها ، حتى لكأنهم عرايا ، فتغير لذلك وجه الرسول صلى الله عليه وسلم وبدا عليه الغضب الشديد ، وعز عليه أن يرى قوما من المسلمين تتملكهم الفاقة الى هذا الحد ، وجعل الله لهم حقوقا فى أموال أخوانهم الاغنياء فرؤى صلى الله عليه وسلم يومئذ مهتما قلقا يدخل ويخرج ، ويقوم ويقعد ، ثم أمر بلالا أن يؤذن فى الناس ، فأذن بلال وحضر الناس ، واقيمت الصلاة ثم خطب فقال : يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم

من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تسائلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا . يا ايها الذين آمنو اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون • ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم اؤلئك هم الفاسقون • لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون • الا فليتصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره • الى ان قال : ولو بشق تمرة • فجاء رجل من الانصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ثم تتابع الناس حتى تجمع كومان من طعام وثياب • فتهلل وجه النبى صلى الله عليه وسلم لما رأى من تلبية ندائه ، واستجابة دعوته ، وقيام الاغنياء بحق الفقراء • ثم قال : من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من أجورهم شىء ، ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من اوزارهم شىء •

فهذا رسول الله لم يطق صبرا على رؤية هؤلاء الفقراء ، وقد أقلقه عراهم وعوزهم ، فكن يدخل ويخرج ويقوم

ويقعد ، ثم جمع الناس فحثهم على تقديم المعونة لهؤلاء بطريقة الاكتتاب ، لانه عليه الصلاة والسلام يعلم أن الفقر أس البلاد وعلة العلل ، وان البطن اذا جاعت ، والابدان اذا عريت ، تجردت النفوس من جميع القيود والالتزامات ، لهذا قال عليه الصلاة والسلام : من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته ، مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع (هو أشد أنواع الحيات) له زبيبتان ، يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بلهزمتيه (أى شدقيه) ثم يقول : أنا مالك أنا كنزك ، ثم تلا : ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) .

لقد أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتباعه بأدب العطف والشفقة والاحسان فكان خير مثال يحتذى وأحسن قدوة تتبع .

فهذا أبو بكر الصديق رضوان الله عليه قد انفق جميع ماله في سبيل الله ، ولقد روى عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : بينا النبى صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر رضى الله عنه وعليه عباءة قد خلّها فى صدره بخلال اذ نزل جبريل عليه السلام فقال : يا رسول الله ، ما لى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها فى صدره ، فقال عليه

الصلاة والسلام : أنفق ماله عليّ قبل الفتح ، قال جبريل : فاقرئه عن الله عز وجل السلام وقل له : يقول لك ربك تبارك وتعالى ، أراضى أنت عنى فى فقرك أم ساخط ؟ فقال أبو بكر : أعلى ربى أغضب ، أنا عن ربى راضٍ •

وهذا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه وهو أشهر من أن يذكر عطفه وبره بالفقراء والمساكين • قال أبو هريرة : يرحم الله ابن حنتمة (يريد عمر) ، لقد رأيته عام الرمادة وانه ليحمل على ظهره جرابين وعكة زيت فى يده ، وانه ليعتقب (أى يتناوب) هو وأسلم (مولى عمر) ، فلما رآنى قال : أين يا أبا هريرة ؟ قلت : قريبا ، فأخذت أعقبه فحملناه حتى انتهينا الى صرار فاذا صرم (جماعة) نحو من عشرين بيتا من محارب ، فقال عمر : ما أقدمكم ؟ قالوا : الجهد ، قال : فرأيت عمر طرح رداءه ثم نزل يطبخ لهم ويطعمهم حتى شبعوا ، ثم أرسل أسلم الى المدينة فجاء بأبعرة فحملهم عليها حتى أنزلهم الجبانة ، ثم كساهم ، ولم يزل يختلف اليهم والى غيرهم حتى رفع الله ذلك •

وقد أحصى فى بعض الليالى من تعشى عنده فوجدوهم عشرة آلاف رجل ، ومن أرسل اليهم الطعام ممن هم بأطراف المدينة من الاعراب فكانوا خمسين ألفا •• ومع

هذا كله فقد حلف عمر لا يذوق لحما ولا سمنا حتى يحيى الناس ، وقد قرقر بطنه فنقرها بأصبعه وقال : تقرقر ، انه ليس لك عندنا غيره حتى يحيى النـــاس (يحيى أى يخصبوا) .

وهذا عثمان بن عفان رضى الله عنـــه كان من أكثر الصحابة انفاقا فى سبيل الله لما كانت غزوة تبوك ورأى ما عليه المسلمون من عسر وضيق ، تعهد بتجهيز نصف جيش العسرة من ماله ، فقدم له عشرة آلاف دينار وألفـــا من الجمال والخيل ، وقد رؤى النبى صلى الله عليه وسلم بعدها وهو رافع يديه الكريمتين ويقول : اللهم عثمان رضيت عنه فارض عنه ، وذلك من أول الليل الى أن طلع الفجر ، ولما وضع الدنانير فى حجر رسول الله ، أخذ الرسول يقلبها ويقول : غفر الله لك يا عثمـــان ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ، وما هو كائن الى يوم القيامة ، اللهم ارض عن عثمان فاني راض عنه .

وهذا علي بن أبى طالب رضى الله عنه مر عليه يوم وهو لا يملك وأهل بيته غير ثلاثة أرغفة من سويق ، ولما وقف على بابه ثلاثة فقراء أعطاهم اياها وبات هو وأهـــل بيته على الطوى .

وقد كان للحسين بن علي رضى الله عنهما عين ماء تسمى (عين أبى نيزر) ، ولما ثقله الدين سئل أن يبيع هذه العين ، فامتنع عن ذلك ، لان فقراء المسلمين يستقون منها .

ولقد تحدث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الاشعريين وامتدح تعاضدهم واخلاص بعضهم لبعض فقال : ان الاشعريين اذا أرملوا (أى نفذ زادهم) فى الغزو ، وقل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم باناء واحد بالسوية ، فهم منى وأنا منهم .

ورؤى عبدالله بن المبارك وهو يعض على يد خادم له ، فقيل له : تعض يد خادمك ، فقال : كم آمره أن لا يعد الدراهم على السؤال ، أقول له : أحثو لهم حثواً .

ولقد كان رافع بن عميرة بن عمرو السنبسى (فخذ من طيء) يغدى أهل ثلاثة مساجد يعشيهم كل يوم ، ومع هذا العطاء فليس عليه غير قميص واحد زهداً واذلالاً للنفس .

ولقد جاء رجل الى يحيى بن طلحة بن عبيد الله فقال له : هب لى شيئا ، قال : يا غلام اعطه ما معك ، فأعطاه عشرين ألفا ، فأخذها ليحملها فثقلت عليه ، فقعد يبكى ، فقال له يحيى : ما يبكيك لعلك استقللتها فأزيدك ، قال :

لا والله ما استقللتهـــا ، ولكن بكيت على ما تأكل الارض من كرمك .

ولقد مر سعيد بن العاص بدار رجل بالمدينة، فاستسقى فسقوه ، ثم بعد ذلك مر بالدار ومناديا ينادى عليها فيمن يزيد ، فقال لمولاه : سل لم تباع هذه ؟ فرجع اليه فقال : على صاحبها دين ، قال : فارجع الى الدار ، فرجع فوجد صاحبها جالسا وغريمه معه ، فقال : لم تبع دارك ؟ قال : لهذا عليّ أربعة آلاف درهم فنزل سعيد وتحدث معهمـا وبعث غلامه فأتاه ببدرة فدفع الى الغريم أربعة آلاف درهم ودفع الباقى الى صاحب الدار ، وركب ومضى .

ولقد بلغ عمر بن عبدالعزيز أن أحد أولاده اتخـذ خاتما واشترى فصاً بألف درهم فكتب اليه يقول له : أما بعد ، فقد بلغنى أنك اشتريت فصاً بألف درهم ، فبعـه واشبع به ألف جائع ، واتخذ خاتما من حـــديد واكتب عليه : رحم امرءاً عرف قدر نفسه .

ولقد اشترى عبدالله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ابلا وأرسلها الى المرعى فلما سمنت قدم بها ليبيعها ، فدخل عمر السوق ورأى ابلا سماناً ، فقال : لمن هـذه ؟ قيل : لعبدالله بن عمر ، فجعل يقول : يا عبدالله ، بخ بخ

ابن أمير المؤمنين فجـاءه عبدالله فقـال له : مالك يا أمير المؤمنين ، قال : ما هذه الابل ؟ قال : ابل اشتريتها وبعثت بها الى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون ، فقال عمر : ارعوا ابل ابن أمير المؤمنين ، واسقوا ابل ابن أمير المؤمنين ، ياعبدالله بن عمر : أغد على رأس مالك واجعل باقيه فى بيت مال المسلمين ، وليفرق على الفقراء والمساكين .

ولقد كان دخل الليث بن سعد فى كل سنة ثمانين ألف دينار ما أوجب الله عليه درهما قط بزكاة ، وكان يقول : ما وجبت عليّ زكاة منذ بلغت .

فمن أجل هذا لم يبق فقير ولا مسكين فى البـلاد الاسلامية كلها ، بل أصبح المسلمون وكأنهم يعيشون عيشة رجل واحد ، لا فرق بين غنى وفقـير ، وآمر ومأمور ، وسيد ومسود . روى أن عمر بن عبدالعزيز أرسل لولاته فى الأقاليم ان وزعوا ما جمعتم من زكاة الاغنياء على فقراء المسلمين . فردوا عليه بأنهم بحثوا عن فقير بين المسلمين فلم يجدوه ، فأرسل اليهم أن وزعوها على فقراء النصارى واليهود ، ، فردوا عليه بأنهم لم يجدوا فقيراً بين هؤلاء ، قد أغنتهم زكاة أموال المسلمين ، فقال عندئذ عمر : اذن الى بيت المال .

ولقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضى الله عنه لما أرسله الى اليمن لأخذ الزكاة : خذها من أغنيائهم واقسمها على فقرائهم . والفقير هو الذى لا يملك نصابا . وكره الامام أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه اخراج زكاة أهل بلدة فيها فقراء الى فقراء بلدة أخرى ، الا اذا كان فيهم ذو قرابة للمتصدق . كما كره أن يعطى مقدار نصاب لفقير واحد .

ولقد استعمل عمر بن الخطاب رضى الله عنه حذيفة بن اليمان على ما سقت دجلة ، واستعمل عثمان بن حنيف على ما سقى الفرات ، فلما حضرا اليه قال لهما : كيف فعلتما ؟ أخاف أن تكونا قد حملتما الارض ما لا تطيق ، قالا : حملناها أمراً هى له مطيقة ، ما فيها كثير فضل ، قال : انظرا أن تكونا حملتما الارض ما لا تطيق ، قالا : لا ، فقال عمر : لئن سلمنى الله لأدعنّ أرامل أهل العراق لا يحتجن الى رجل بعدى أبداً . ولم يمض عليه الا أربعة أيام حتى طعن بمؤامرة مجوسية يهودية .

ومع هذا كله فلا تزال الشريعة الاسلامية تدعو تابعيها الى مزيد العناية بالفقراء والمساكين ، وتحضهم على البر والخير والاحسان .

هذا هو الاسلام ، وهذه هى سيرة أتباعه الاول الذين كانوا يعيشون لأمتهم لا لأنفسهم ، يعيشون لبلادهم لا لأهلهم ، يعيشون لاسعاد أبناء دينهم لا لسعادة أبدانهم .

فلو أن الحكومات الاسلامية ألزمت الناس باداء الزكاة كما فرضها الله ، ووزعتها كما وزعها القرآن ، لتبدلت الحال غير الحال ، ولما وجد فقير متعطل ، أو سائل محروم ، أو أسرة معدمة ، ولكانت الحياة بهيجة فى كل قلب، جميلة فى كل عين ، ولكان أبناء الأمة جميعهم اخوانا على سرر متقابلين ، ولعلم الناس أجمع ان الاسلام هو خير النظم وأعدل القوانين ، هو أفضل ما فى الديمقراطية وأعدل ما فى الاشتراكية ، وأحسن ما فى الشيوعية . صنع الله الذى أتقن كل شيء ، ومن أحسن من الله صنعا ...

* * *

(١٠)

قلنا من قبل بأن سلف هذه الامة كانوا يعيشـــون لأمتهم لا لأنفسهم ، يعيشون لبلادهم لا لأهلهم ، لذلك لم يبق فقير ولا مسكين في البلاد الاسلامية كلها • ولقد كان أويس القرني يتصدق بثيابه حتى يجلس عرياناً لا يجد ما يروح فيه الى صلاة الجمعة ، ولقـــد كان اذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب ثم يقول : اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به ، ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به •• وروى أن صهيب بن سنان الرومي كان يطعم الطعام الكثير ، فقال له أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : يا صهيب ، انك تطعم الطعام الكثير وذلك سرف في المال ، فقال صهيب : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : خيركم من أطعم الطعام ورد السلام ، فذلك الذي يحملني على أن أطعم الطعام ••

وروى أبو نعيم في حلبته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على بلال وعنده صرة من تمر فقال : ما هـذا

يا بلال ؟ قال : يا رسول الله ادخرته لك ولضيفانك ، قال : أما تخشى أن تكون له سجاراً فى النار ، أنفق بلالا ، ولا تخش من ذى العرش اقلالا ..

ولما نسى المسلمون دينهم، وانطمست معالمه من نفوسهم وتنكبوا الطريق السوى ، واتبعوا أهواءهم وشهواتهم ، ولم يطبقوا تعاليم شريعتهم فى حياتهم ، تبلدت منهم البصائر ، وتحجرت المشاعر ، ونامت منهم الضمائر ، فلا تستيقظ بالوعظ والارشاد ، وقست قلوبهم فلا تلين بالوعد والوعيد ، لقد أهملوا ناحية التعاون على الخير ، والتنافس فى عمل المعروف ، ان هؤلاء هم الذين عناهم امام الانبياء وسيد الرحماء بقوله : ويل للاغنياء من الفقراء يوم القيامة، يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا التى فرضت لنا عليهم ، فيقول الله ، وعزتى وجلالى لأدنينكم ولأبعدنهم .

لقد عشق بعض الناس البخل والحرص ، وأصبحوا لا يكادون يشعرون بآلام أمتهم ، ويعتقدون ان السعادة كلها فى أن يعيشوا لأنفسهم ولا يشركون أحداً فى النعمة التى ينعمون بها ، وكأنهم لم يسمعوا قول رسول الله : سادة الناس فى الدنيا الاسخياء ، وسادة الناس فى الآخرة الانبياء .

نرى الجمهرة الكبرى من المسلمين لا تدفع الزكاة وتبخل بها ، وهذا من ضعف الايمان وعدم الثقة بالله ، ولم يعلم هؤلاء ان الزكاة بركة ونماء للمـال ، والله يربى الصدقات ، ولقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : حصنوا أموالـكم بالزكاة وداووا مرضـاكم بالصدقة .. ان هؤلاء البخلاء يهدمون ركنـا من أركان الاسلام سيئول بهم الى هدم ثروتهم وابتلائهم بالكوارث التى تجتاح أموالهم كالامراض والسرقات والخسائر وما اليها من مفترسات الاموال وآكلاتهـا ، ولعلهم يرددون ما قاله زعيمهم قارون من قبل (قال انما أوتيته على عـلم عندى) ، فليحذروا أن يصيبهم ما أصاب قارون (فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) ، هذا فى الدنيا أما فى الأخرى فاسمعوا ما أعده الله لهم من عذاب وعقاب (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) فانهم تكوى منهم ثلاثة مواضع ، لانهم لما قيل لهم لم بخلتم بالزكاة ؟ قالوا : انها وجهنا فنضن بها ليتبقى

لنا ماء الوجه ، فقال الله تعالى (فتكوى بها جباههم) كما
تذهب بشاشتها وماؤها ، ثم قال : (وجنوبهم) لقولهم حياة
القلب من المال فمن لامال له لاقلب له ، ثم قال: (وظهوركم)
لقولهم المال للرجل ظهر فمن لا مال له لا ظهر له ، فيقال
للبخيل : هذا مالك الذى كنت تبخل به يكون لك كيات
ولقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من
صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم
القيامة صفحت له صفائح من نار فيحمى عليها فى نار جهنم
فيكوى بها جنبه وظهره ، كلما بردت أعيدت له فى يوم
كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ،
فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار .. وقال عليه الصلاة
والسلام : والذى لا اله غيره ، ما من رجل تكون له ابل
أو بقر أو غنم ولا يؤدى حقها الا أتى بها يوم القيامة أعظم
ما تكون داسمة تطؤه باخفافها وتنطحه بقرونها ، كلما
جازت أخراها ردت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس .

دخل الحسن البصرى على عبدالله بن الاهتم يعوده فى
مرضه ، فرآه يصعد بصره الى صندوق فى بيته ، ثم التفت
اليه فقال : يا أبا سعيد ، ما تقول فى مئة ألف دينار فى
هذا الصندوق لم أؤد منها زكاة ، ولم اصل بها رحما ؟ فقال

له : ثكلتك أمك ، ولم كنت تجمعها ؟ قال : لروعة الزمان وجفوة السلطان ، وتكاثر العشيرة . ثم مات ، فشهده الحسن البصرى ، فلما فرغ من دفنه ضرب بيده على القبر ثم قال : انظروا الى هذا ، أتاه شيطانه فخوفه روعة زمانه ، وجفوة سلطانه ، بما استودعه الله اياه وعمره فيه ، انظروا اليه كيف خرج مذموما مدحورا ، ثم التفت الى وارثه فقال : أيها الوارث ، لاتخدعن كما خدع صويحبك بالامس أتاك هذا المال حلالا ، فلا يكونن عليك وبالا ، أتاك عفوا صفوا ممن كان له جموعا منوعا ، من باطل جمعه ، ومن حقه منعه ، قطع فيه لجج البحار ، ومفاوز القفار ، ولم تكدح لك فيه عين ، ولم يعرق لك فيه جبين ، ان يوم القيامة يوم ذو حسرات ، وان من أعظم الحسرات غدا أن ترى مالك فى ميزان غيرك ، فيالها من حسرة لا تقال ، وتوبة لا تنال .

ويروى عنه أنه قال : لم أر أشقى بماله من البخيل ، لانه فى الدنيا يهتم بجمعه ، وفى الآخرة يحاسب على منعه ، غير آمن فى الدنيا من همه ، ولا ناج فى الآخرة من أثمه ، عيشه فى الدنيا عيش الفقراء ، وحسابه فى الآخرة حساب الاغنياء : (كلا بل لا تكرمون اليتيم ، ولا

تحاضون على طعام المسكين ، وتأكلوا التراث أكلا لما ، وتحبون المال حبا جما ، كلا اذا دكت الارض دكاً دكا ، وجاء ربك والملك صفاً صفا ، وجيىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى ، يقول يا ليتنى قدمت لحياتى ، فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) .
روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا معلقا بأستار الكعبة وهو يقول : يارب اغفرلى وما أراك تفعل فقال له رسول الله : ولم تراه لا يفعل ، ما شأنك ؟ قال : انى رجل صوام قوام كثير المال ، الا انى اذا نزل بى ضيف أو أتانى سائل فكأنما تشتعل فى قلبى شعلة نار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تنح عنى ولا تحرقنى بنارك ، فو الذى أرسلنى بالهدى لو صمت ألف عام وصليت ألف عام بين الركن والمقام ، وجرت من دموعك الانهار ، ثم مت وأنت لئيم ، أكبك الله فى النار .. وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : بينا رجل يمشى بفلاة من الارض فسمع صوتا من سحابة يقول : اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب فافرغ ماءه فى حرة (أرض بها حجارة سود) فاذا شرجة (سيل ماء) من تلك الشراج قد استوعبت الماء كله ، فتتبع (أى الرجل) الماء ، فاذا رجل قائم فى

حديقته يحول الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبدالله
ما أسمك ؟ قال : فلان للاسم الذى سمعه من السحابة ،
فقال له يا عبدالله لم تسألنى عن أسمى ؟ فقال : انى
سمعت صوتا فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول :
اسق حديقة فلان لاسمك ، فما تصنع فيها ؟ فقال : اما اذا
قلت هذا ، فانى انظر الى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه ،
وآكل أنا وعيالى ثلثه ، وارد فيها ثلثه . رواه مسلم .

هذا ما ورد عن الرجل الذى يؤدى حق ماله ، ويبذل
قسطا منه لاعانة الضعفاء والمحتاجين ، وليقارن المرء بين هذا
الرجل وبين أصحاب الحديقة الذين ورد ذكرهم فى سورة
القلم ، والذين حرمهم الله من ثمارها وخيراتها وأحل بها
الخراب والدمار عندما صمموا على حرمان الفقراء من
خيراتها (أذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون ،
فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم ،
فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين ،
فانطلقوا وهم يتخافتون ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ،
وغدوا على حرد قادرين) ولما رأوا ما حل بها وقد احترقت
أشجارها ، وأصبحت قاعا صفصفا ، رجعوا الى أنفسهم
وقالوا : (انا لضالون بل نحن محرومون) ، ثم أنابوا الى

الله واستغفروه عما بدر منهم من تقصير نحو المسكين والفقير رد الله عليهم حديقتهم وأصبحت كما كانت من قبل .

ومن طريف ما يحكى عن أحد البخلاء أنه اذا وقع فى يده درهم أو دينار نقره بيده ثم وضعه على كفه وهو يقول : سبحان الله ، هذا أجمل الاشياء الى الله فيه شفاء ووقار . ثم يخاطبه بقوله : يا نور عينى وثمرة فؤادى ، كم مدينة دخلتها ، وكم يد وقعت فيها ، فلم يعرفوا قدرك ، فداك أبى وأمى ، والآن استقرت بك الدار ، واطمأن بك المزار ، ونجوت من خطر الاسفار وأيدى التجار ، لك البشارة فى كيس ملمع ، وصندوق منقش . وكان يقبله ويضعه فى الصندوق .

ان الزكاة لها أثرها فى حياة المجتمعات والشعوب ، ودفعها الفاقة عن الفقراء وحيلولتها دون وقوع المجاعات العامة بين الناس ، كما انها تولد روحا ودية بين الاغنياء والفقراء ، وتقضى على كثير من الاجرام ، ومع هذا الحق الشرعى فى أموال الناس فان ملكياتهم الفردية مصونة عن كل شىء ، لذلك قال سيد الانبياء والمرسلين : ليس فى أموال الناس حق سوى الزكاة .. اذ لم تفرض الشريعة غير الزكاة فى الاموال على رعاياها ، وكانت هذه الفروض

المالية قائمة مقام الضرائب التي تتناولها الدول الحاضرة من أفرادها . ومن يقايس بين ضرائب الشـــريعة وضرائب الحـكومات يجد الفرق عظيما . فالشريعة الاسلامية اعتنت في تعيين ضرائبها بمصالح الناس ، ورأفت بحالهم ، كما أن ما تجبيه من اغنيائهم تنفقه على فقرائهـــم ، فتزيل به الحاجة ، وتسد به الخصاصة .

فيا ايها الناس : لا تغرنـكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنـكم ما ترون من عظمتها ومجدها بين يديكم ، فان كل ذلك وهم باطل وظل زائل ، ولعل القـــدر يخبيء لـكم ما لم تحتسبوا ، ولعله يهدم صروح الآمال ، ويبدل حالا بأحوال وربما بدل الغنى فقرا ، والعز ذلا ، فأي عاقل يرى تقلبات الزمان ويسمع بتصرفاته ، ثم لا يقـــدم ذخيرة تنفعه في مستقبله . (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) .

أيها الغني : ان ما تدفعه اليوم هو قرض تستوفيه غدا ، وان موعد الدفع هو أشد أيام احتياجك اليه : (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ، وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمدا بعيدا) . وأنه قرض مضمون ، سجله كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

خلقه ، وشهوده الله وملائكته ، وأنه قرض مثمر الواحد بسبعمائة : (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء) .

الا ان الغنى والفقر ليسا بدائمين ، وكم من صدقة جلبت نعمة ودفعت نقمة ، ورب احسان يحفظ النعمة ، ورب نقمة ذهبت بالطارق والتالد وصيرت العزيز ذليلا ، والغنى فقيرا .

ولو ان دعاة الاشتراكية والشيوعية نظروا الى أحكام الزكاة وتشريعها ، ونظام الصدقات ومستحقيها بعين لا غش فيها ، لعلموا انهم انما يركسون الناس فى مهاوى الفقر والبلاء . ان مبادءهم لا قبل لها باصلاح الناس ، وان الخير والرشاد والصلاح كل ذلك من خصائص دين الاسـلام ، دين الانسانية والسعادة والهناء .

* * *

هذا ما تيسر نشره فى هذه الرسالة ، وسنتناول النواحى الاخرى فى رسالة قادمة ومن الله التوفيق ...

